المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الاولى

مصر القديمة هي حضارة قديمة في الشمال الشرقي لأفريقيا وقد تركزت حضارة **القدماء المصريين**على ضفاف نهر النيل في ما يعرف الآن بجمهورية مصر العربية.

بدأت الحضارة المصرية في حوالي العام ٣١٥٠ ق.م، عندما وحد الملك مينا) نارمر (جنوب وشمال مصر معا، وتطورت بعد ذلك على مدى الثلاث ألفيات اللاحقة.[٢] ضمت تاريخياً سلسلة من *الممالك* المستقرة سياسياً، تخللتها فترات عدم استقرار نسبي تسمى الفترات المتوسطة. بلغت مصر القديمة ذروة حضارتها في عصر الدولة الحديثة، وبعد ذلك دخلت البلاد في فترة انحدار بطئ. هوجمت مصر في تلك الفترة من قبل العديد من القوى الأجنبية، وانتهى حكم المصريين القدماء رسمياً حين غزت الإمبراطورية الرومانية مصر وجعلتها إحدى مقاطعاتها

نجحت الحضارة المصرية القديمة في وادي نهر النيل حيث توافرت لها كل مقومات الزراعة من تربة خصبة ومياه ومناخ معتدل، وساعد التنبؤ بالفيضانات والسيطرة على أضرارها في إنتاج محاصيل زراعية وافرة أسهمت في التنمية الاجتماعية والثقافية. واستخرجت السلطات مع توافر المواد اللازمة الكثير من المعادن الموجودة في منطقة الوادي والمناطق الصحراوية المحيطة به، وكتبت ووضعت نظام كتابة مستقل بها، ونظمت البناء الجماعي والمشاريع الزراعية، بالإضافة للتجارة مع المناطق المحيطة بمصر، وكان تعزيز القوى العسكرية للدفاع العسكري ضروريا لمقاومة أعداء الخارج، وتأكيد الهيمنة للأسر الفرعونية على البلاد.

وقد كان تنظيم تلك الأنشطة وتحفيزها يتم من خلال نخبة من البيروقراطيين والزعماء الدينيين والإداريين تحت سيطرة حاكم مصر الذي حرص على التعاون والوحدة بين المصريين، في سياق نظام محكم من معتقدات دينية .

ولقد تضمنت إنجازات قدماء المصريين استغلال المحاجر، المسح وتقنيات البناء التي سهلت بناء الأهرامات الضخمة والمعابد والمسلات، بالإضافة لنظام رياضيات عملي وفعال في الطب. وأنظمة للري وتقنيات الإنتاج الزراعي، وأول ما عرف من السفن، والقيشاني المصري وتكنولوجيا الرسم على الزجاج، وأشكال جديدة من الأدب، وأول معاهدة سلام معروفة .تركت مصر القديمة إرثاً دائماً للبشرية جمعاء وأخذ منها اليونانيون القدماء الكثير وتلاهم الرومان. ونُسخت وقُلدت الحضارة والفن والعمارة المصرية على نطاق واسع في العالم، ونقلت آثارها إلى بقاع بعيدة من العالم. وألهمت الأطلال والبقايا خيال المسافرين والكتاب لعدة قرون، وأدت اكتشافات في مطلع العصر الحديث عن آثار وحفريات مصرية إلى أبحاث علمية للحضارة

المصرية تجلت في علم أطلق عليه علم المصريات، ومزيداً من التقدير لتراثها الثقافي في مصر والعالم

في أواخر العصر الحجري القديم، تحول المناخ في شمال أفريقيا تدريجياً إلى الحرارة والجفاف، مجبراً سكان المنطقة على التركيز على طول وادي النيل. ومنذ أن بدأ الإنسان البدائي العيش في المنطقة في أواخر العصر الجليدي منذ ١٢٠ الف سنة، أصبح نهر النيل شريان الحياة في مصر الخصوبة المصحوبة مع فيضان النيل أعطت السكان الفرصة لتطوير الاقتصاد الزراعي، وتدعيم استقرار مجتمع مركزي، أصبح كما يرى البعض حجر الزاوية في تاريخ الحضارة الإنسانية .فبعض المؤرخين يرون أن بناء الأهرامات في مصر كان من أغراضه إتمام التحام الشعب ببعضه البعض، حيث جمع العمال من جميع أنحاء مصر للمشاركة في بناء الأهرامات. كانت تلك بمثابة مشاريع قومية يشترك فيها مختلف السكان فيتعاونون في العمل ويعيشون مع بعضهم البعض، علاوة على توحيد رؤيتهم العقائدية، بأن فرعون يرعى أمورهم في الدنيا، وبعد موته يذهب إلى الآلهة ويرجوهم لمساعدة السكان على معيشتهم ويصونهم.

فترة قبل الأسر

- عصر ما قبل الأسرات

قبل بداية عصر ما قبل الأسر، كان المناخ المصري القاحل أقل قحلاً مما هو عليه اليوم. وغطت حشائش السافانا مناطق واسعة من مصر واجتازتها قطعان الرعي من ذوات الحوافر. كانت الثروة الحيوانية والنباتية أكثر غزارة من الآن في جميع المناطق، وساعد منطقة نهر النيل في تكاثر جماعات من الطيور المائية. كان الصيد شائعاً بين المصريين في تلك الفترة، التي أيضاً تم استئناس العديد من الحيوانات بها .

.

في نحو ٥٠٠٠ ق.م، عاشت قبائل صغيرة في وادي النيل ونمت وطورت سلسلة من الثقافات التي كانت الزراعة وتربية الحيوانات تسيطر عليها، بالإضافة للمقتنيات من الفخار والممتلكات الخاصة التي عثر عليها. كانت أكبر تلك الحضارات هي حضارة البداري في مصر العليا، التي اشتهرت بالسراميك عالي الجودة، والأدوات الحجرية، واستخدامها للنحاس

في الشمال، تبعت البداري بحضارات أمراتيان وغيرزيان،التي أظهرت عدداً من التطورات التكنولوجية. أثناء فترة حضارة الغيرزيان، أثبتت أدلة مبكرة وجود اتصال مع كنعان وساحل جبيل .

في الجنوب، وازت حضارة النقادة حضارة البداري، وبدأت في التوسع على طول النيل بنحو 4000 ق.م في وقت مبكر أثناء حضارة النقادة، استورد المصريين القدماء حجر السج من إثيوبيا، الذي استخدم في نقل الريش بالإضافة لأشياءً أخربعلى مدى فترة حوالي ١٠٠٠ سنة، تطورت حضارة النقادة من مجتمعات زراعية صغيرة إلى حضارة قوية كان لقادتها السيطرة الكاملة على الناس والموارد في وادي النيل .وسعى قادة النقادة على بسط سيطرتهم على مصر شمالاً على طول نهر النيل بتأسيس مراكز قوة في هيراكونبوليس ثم في أبيدوس وتاجروا مع

النوبة في الجنوب، وواحات الصحراء الغربية في الغرب، وثقافات شرق البحر المتوسط في الشرق

صنعت شعوب النقادة مجموعة متنوعة من السلع الثمينة، في انعكاس لزيادة الطاقة والثروة في طبقة النخبة، والتي شملت طلاء الفخار والمزهريات الحجرية المزخرفة ذات الجودة العالية، واللوحات الفنية والمجوهرات المصنوعة من الذهب والالبيد والعاج. وقاموا أيضاً بتطوير السيراميك الصقيل المعروف بالقيشاني والذي كان يستخدم في العصر الروماني لتزيين الكؤوس والتمائم والتماثيل وقبيل نهاية عصر ما قبل الأسرات، بدأت شعوب النقادة استخدام رموز كتابية كان من شأنها في نهاية الأمر التطور إلى نظام كامل للغة الهيروغليفية لكتابة اللغة المصرية القديمة.

- عصر الأسر المصرية المبكرة

قام كاهن مصري في القرن الثالث قبل الميلاد بتصنيف الفراعنة بدايةً من مينا وحتى عصره إلى ٣٠ أسرة حاكمة، وهو نفس التصنيف الذي ما يزال يستعمل حتى اليوم. واختار أن يبدأ تصنيفه الرسمي بالملك ميني (أو مينا باليونانية) الذي يسود الاعتقاد أنه وحد مملكتي مصر العليا والسفلى معاً في حوالي العام ٣٢٠٠ ق.م وقد حدث الانتقال إلى دولة واحدة موحدة تدريجياً، بشكل أكبر مما كان الكتاب المصريون القدماء يعتقدوا، وليس هناك أي سجلات معاصرة عن مينا. ومع ذلك يعتقد بعض الباحثين الآن أن مينا الأسطوري هو نفسه الفرعون نارمر، الذي صوّر وهو يرتدي الزي الملكي على لوحة نارمر الاحتفالية في خطوة رمزية للتوحيد .

في عصر الأسر المبكرة حوالي ٣١٥٠ ق.م، بسط أول فرعون سيطرته على مصر السفلى عن طريق إنشاء عاصمة في ممفيس، التي أمكن من خلالها السيطرة على القوة العاملة والزراعة في منطقة الدلتا الخصبة، بالإضافة إلى السيطرة على حركة التجارة المتجهة إلى الشام. وقد عُكست سلطة ونفوذ الفراعنة في ذلك الوقت على وضع مقابرهم وهياكلها، والتي كانت تستخدم للاحتفال بالفرعون بعد وفاته .طورت الملكية وقوتها بإضفاء الفراعنة لعامل الشرعية في سيطرة الدولة على الأرض والعمل والموارد التي لا غنى عنها لبقاء ونمو الحضارة المصرية القديمة.[٢٣]

- فترة مصرية انتقالية أولى

بعد انهيار الحكومة المركزية في مصر في نهاية عصر المملكة القديمة، أصبحت الإدارة غير قادرة على تدعيم اقتصاد واستقرار البلاد. ولم يكن باستطاعة حكام الأقاليم الاعتماد على الملك للمساعدة في وقت الأزمات، وأدت الفترة التي تلاتها نقص الغذاء والنزاعات والخلافات السياسية إلى زيادة حدة المجاعات والحروب الأهلية صغيرة الحجم. وعلى الرغم من تلك المشاكل الصعبة، قام القادة المحليين مستهترين بالفرعون، باستغلال استقلالهم الجديد لتأسيس حضارة مزدهرة في المحافظات. وبالسيطرة على موارد المقاطعات الخاصة، أصبحت الأقاليم والمقاطعات أكثر ثراءً من الناحية الاقتصادية؛ وهي حقيقة شهدها جميع فئات المجتمع.[٢٤] وقد اعتمد وتكيف الحرفيون المحليون على زخارف كانت ممنوعة سابقاً في عصر الدولة القديمة، بالإضافة لأساليب أدبية جديدة اتجه إليها كانت تعرب عن التفاؤل وأصالة هذه الفترة

بدأ الحكام المحليين التنافس مع بعضهم البعض على السيطرة على الأراضي والسلطة السياسية، مبتعدين عن ولائهم للفرعون. وبحلول ٢١٦٠ ق، م، سيطر الحكام في هيراكليوبولس على مصر السفلى، بينما سيطرت أسرة إنتيف، إحدى العشائر المنافسة في طيبة، على مصر العليا. ومع نمو سلطة وسيطرت الإنتيف إلى الشمال، أصبح الصدام بين العشيرتين أمراً حتمياً. وقامت قوات طيبة بقيادة منتوحوتپ الثاني بهزيمة حاكم هيراكليوبولس، معيدين توحيد الأرضين وبداية عصر نهضة ثقافية واقتصادية عرفت باسم الدولة الوسطى

الدولة الوسطى

استعاد فراعنة الدولة الوسطى رخاء البلاد واستقرارها، مما أدى لتحفيز الفن والأدب ومشاريع البناء الضخمة.[٢٧] حكم منتوحوتپ الثاني وخلفائه من الأسرة الحادية عشر البلاد من طيبة كعاصمة للبلاد، ولكن سرعان ما تغير الأمر عند تسليم الوزير أمنمحات الأول الملكية للأسرة الثانية عشر في ١٩٨٥ ق.م، عندما غيّر العاصمة وجعلها لتجتاوي التي تقع في الفيوم الآن ووضع فراعنة الأسرة الثانية عشر خطة بعيدة الأمد للاستصلاح الأراضي ونظم الري لزيادة الإنتاج الزراعي في البلاد. وأكثر من ذلك، استعاد الجيش منطقة النوبة الغنية بالمحاجر والذهب، وعمل العمال على بناء هيكل دفاعي في شرق الدلتا أطلق عليه اسم "جدران الحاكم" لصد الهجمات الخارجية

ازدهرت البلاد في الفن والدين في ظل الأمن العسكري والسياسة والأمن الزراعي. وعلى عكس موقف نخبة الدولة القديمة تجاه الآلهة، شهدت الدولة الوسطى زيادة في التعبير عن "التقوى الشخصية" أو ما يمكن أن يسمى "ديموقراطية الحياة الآخرة"، التي تعطي لكل فرد روحاً من الممكن أن تكون مرحباً بها بجوار الآلهة بعد الموت.[٣٠] كما تميز الأدب في المملكة الوسطى بالمؤلفات المتطورة المواضيع والشخصيات المكتوبة في أسلوب بليغ وجرئ، والنحت النافر والتصويري لفترة الاعتقالات الخفية، كانت تفاصيل فردية وصلت إلى مستويات جديدة من الكمال التقني

سمح آخر حكام الدولة الوسطى، أمنمحات الثالث، بالمستوطنين الآسيويين بالعيش في منطقة الدلتا، لتوفير قوة عاملة كافية لا سيما في التعدين النشط وبناء المدن. ولاحقاً، أدت أعمال البناء الطموحة تلك، وأنشطة التعدين، بالإضافة إلى عدم كفاية فيضانات النيل لاحقاً في مُلكة، إلى توتر اقتصادي عجل من الاضمحلال إلى الفترة الانتقالية الثانية خلال عصر الأسرتين الثالثة عشر والرابعة عشر .وخلال هذا الاضمحلال، بدئت الطائفة الأجنبية الآسيوية في السيطرة على منطقة الدلتا، مما أدى لاحقاً وفي نهاية المطاف إلى بسط سلطتهم على شمال مصر وعرفوا بالهكسوس

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الثانية

مصادر التاريخ المصري القديم

الواقع أنه لم يصلنا أي كتاب خاص كتبه المصريون أنفسهم عن تاريخ بلادهم، فكل ما نعتمد عليه في تأليف تاريخ مصر هي النقوش التي وجدت على الآثار، وهذه تنحصر فيما يلي:

- **أوَّلًا:** أخبار الحروب التي قام بها الملوك، ثم النقوش الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم، ثم المراسيم الملكية التي كانت تنتشر في طول البلاد وعرضها من عدة نسخ، وكانت تكتب على الحجر في معظم الأحيان وتوضع في المعابد والمدن.
- **ثانيًا:** الأوراق البردية التي كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية، وخلافًا لهذه المصادر فإن كل ما عثرنا عليه متشابه وعلى وتيرة واحدة، وأعنى بذلك النقوش التي عثرنا عليها في المقابر والمعابد، وكانت ترمي إلى غرض شخصي، فمثلًا لم يكتب الملك على جدران معابده انتصاراته على أعدائه في حروبه إلا ليظهر قوته وسلطانه، ولم ينقش معاهدة صلح إلا ليظهر ما كسبه من أعدائه ونفوذه عليهم، وكذلك لم يسرد فرد من عظما القوم تاريخ حياته إلا ليظهر ما ناله من الحظوة عند مليكه لما قام به من الأعمال الجليلة له. أما باقي النقوش التي عثرنا عليها وهي الجزء الأكبر فكلها دينية محضة، وذلك لأنه لم يصلنا شيء من الكتابات الدنيوية إلا النزر اليسير، وسبب ذلك أن المصريين قد أقاموا في «الوجه القبلي» مقابرهم ومعابدهم في الجبال وعلى حافة الصحراء، وشيدوها من الحجر الصلد أو نحتوها في الصخر فبقيت لنا إلى الآن بما فيها من نقوش، أما مدنهم التي كانت تقام في الوادي المنزرع، والتي كانت تبنى باللَّبِن فإنها قد محيت آثارها إلا بقايا قليلة جدًّا، وانمحى معها كل ما خلفوه من الكتابات التي كانت تدون على البردي إلا بعض أوراق نعثر عليها من وقت لآخر.

ومن بين الوثائق الهامة في التاريخ المصري التي عثرنا عليها قوائم أسماء الملوك ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة، وأقدم هذه القوائم يرجع عهدها إلى حكم الملك «تحتمس الثالث»، وقد عثر عليها في المبني العظيم الذي أقامه بالكرنك في مدينة الأقصر ويطلق عليه اسم «قاعة الأعياد»، وهذه القائمة مكتوبة على جدران حجرة يطلق عليها الآن حجرة الأجداد، وأحجار هذه القاعة محفوظة الآن في متحف اللوفر، وقد وجدت فيها أسماء ملوك لم تظهر على القوائم التي عثرنا عليها في عهد الأسرة التاسعة عشرة، على أن قائمة «تحتمس الثالث» لم تكن أقدم وثيقة، بل نعلم أن هنالك قوائم أخرى مشابهة لها، وهناك تواريخ أخرى أقدم، وهذه التواريخ قد كتبت على لوحات من الحجر ونصبت في أماكن عامة وبخاصة في المعابد، وقد حفظ لنا جزء من لوحة من هذه الآثار، وهي تعرف بحجر بلرم، ويرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة كما أسلفنا.

وأهم من قائمة تحتمس الثالث قائمتا «العرابة» المدفونة «أبيدوس» وسقارة، ويرجع تاريخ الأولى إلى عهد «سيتي الأول»؛ أي في أوائل الأسرة التاسعة عشرة، والثانية من عهد «رعمسيس الثاني.«

وقد أراد سيتي الأول أن يخلد ذكرى أجداده في إحدى قاعات معبده الذي شيده في «العرابة» المدفونة — وهو لا يزال حافظًا لجزء عظيم من رونقه القديم — فبنى حجرة خاصة كتب على جدرانها قائمة بأسماء الملوك، وفي هذه القائمة تنتظم أهم ملوك مصر مبتدئة بالفرعون «مينا»، ويلاحظ في هذه القائمة أن في أسماء الملوك الذين ذكروا فيها قبل الأسرة الرابعة بعض الأخطاء، ولكن من بداية الأسرة الرابعة نجد الأسماء المذكورة على القائمة متفقة تمام الاتفاق مع الأسماء التي ذكرت في القوائم الأخرى. أما قائمة سقارة الملكية المحفوظة الآن بمتحف القاهرة، فإنها أقيمت في قبر الكاتب الملكي «تونوري»، وهذه القائمة لا تبتدئ باسم «مينا»، بل باسم خامس أخلافه «مربابا» أو «مربابن»، وهو الذي يطلق عليه اليونان اسم «ميبيس» في كتاب «مانيتون»، وهذه القائمة قد نقلت عن ورقة بردية، غير أنه لم يراعَ فيها الترتيب التاريخي لكثير من الأسرة المالكة.

وبجانب هذه القوائم المكتوبة على الأحجار، قد وصلت إلينا وثيقة أخرى يطلق عليها اسم ورقة «تورين»، وهي من عهد الأسرة التاسعة عشرة، ولم يكتف فيها كاتبها بذكر أسماء الملوك، بل ذكر السنين والشهور والأيام التي حكمها كل ملك، على أنه مما يؤسف له أن هذه الوثيقة لم تصل إلينا سالمة، ولو أنها وصلت كذلك لكانت تعد أهم وثيقة وصلت إلينا في هذه الناحية. بل حدث أنها مزقت إلى قطع عدة، ولم يتمكن العلماء إلى الآن من وضع كثير من قطعها في مكانها الأصلي من الورقة، وبرغم الفجوات التي نجدها في ورقة «تورين» فإنه قد ذكر فيها عدد عظيم من الملوك النكرات، لم يهتد العلماء إلى وضعهم في مكانهم التاريخي، وبخاصة الملوك الذين جاء ذكرهم في هذه الورقة بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثامنة عشرة، ومن الأسف أن القوائم الأخرى قد ذكرتهم بطريقة مختصرة، ومهما يكن من شيء فإن أمثال هذه الورقة وغيرها من القوائم هي التي استعملها «مانيتون» السمنودي في القرن الثالث قبل الميلاد، وكذلك «أرستوستين.«

وهنالك مصدر آخر وهو ما عثر عليه من آثار في الممالك المجاورة لمصر سواء أكانت هذه الآثار مصرية الأصل نقلت إلى هذه البلدان، أم كانت آثارًا خاصة بالبلاد التي وجدت فيها، وذكر فيها شيء عن مصر والمصريين، مثال ذلك: التي وجدت في جزيرة كريت من الأسرة الثانية عشرة، وكذلك الآثار التي عثر عليها في فلسطين، وسوريا من أوائل الدولة القديمة أو في بلاد ما بين النهرين وما وراءها من عهد الأسرة الثامنة عشرة، وسنشير إلى ذلك في موضعه.

بقيت المصادر التي يعتمد عليها في تدوين تاريخ مصر منحصرة فيما نقله لنا الكتاب الإغريق والرومان وغيرهم، إلى أن كشف «شمبليون» عن أسرار اللغة المصرية القديمة من النقوش التي على حجر رشيد عام ١٨٢٢، ومن ثم أخذ العلماء يستقون مصادرهم عن تاريخ مصر من النقوش مباشرة، وقد تكلمنا عنها سالفًا، والآن نتناول باختصار أهم هؤلاء الكتاب الذين زاروا مصر وكتبوا عنها، فأول مؤرخ إغريقي كتب عن مصر هو «هيكاته الملاطي» الذي عاش حوالي عام ٥٥٠ق.م وقد زار وادي النيل وتباحث مع الكهنة المصريين في «طيبة» عندما كان يضع شجرة الأنساب وتاريخه للوبيا.

وجاء من بعده «هيرودوت» حوالي عام ٤٥٠ق.م وقد خصص الجزء الثاني من تاريخه العام لوصف مصر وتاريخها، وقد بدأ بزيارة الدلتا ومكث في منف وعين شمس مدة، ثم صعد في النيل إلى أن وصل إلى أسوان «الفنتين» وفي عودته عرج على الفيوم، وزار الدلتا ثانية ثم غادر البلاد من القزم، وأهم الأسئلة التي وضعها للكهنة كانت منصبة على أصل خرافة الآلهة وعلى التاريخ، وقد أخبره الكهنة أن «مينا» هو أول ملوك مصر، ثم عددوا له نقلًا عن كتاب لديهم أسماء ٣٤٠ ملكًا، وقالوا له إن ما بين أول ملك وآخر ملك ٣٤١ جيلا من الناس، وإن كان ثلاثة أجيال تعادل مائة عام؛ أي إن تاريخ البشر عندهم يبلغ نحو ١١٣٤٠ عامًا، وقبل هؤلاء الملوك كان يحكم الآلهة مصر، وقد أضاف «هيرودوت» إلى ما سمعه ما شاهده بنفسه، والواقع أن وصفه جاء صورة حية للحياة الاجتماعية والآثار التي شاهدها، ويمكن الاعتماد عليها في معظم الأحيان، وفي أوائل عهد البطالسة ظهر المؤرخ «هيكاته الأبدري» في بلاد بطليموس الأول ووضع كتابًا غير أنه لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها «ديدور» في كتاباته.

وفي هذا العصر كان يعيش كذلك «مانيتون» السمنودي، وهو أهم المؤرخين الذين كتبوا عن مصر، وقد أخبرنا المؤرخ اليهودي يوسف «جوزيف» أن «مانيتون» كان مصري الجنس، وكان كاهنًا عظيمًا وكاتبًا في المعابد وماهرًا في لغة بلاده، وفي اللغة الإغريقية أيضًا، وقد أمره بطليموس فيلادولف «الثاني» أن يضع مؤلفًا عن مصر، فقام «مانيتون» بذلك، وحاول أن يضع أمام الإغريق صورة حقيقية عن تاريخ مصر منقولة عن النقوش المصرية، ويرجع عهد كتابة هذا التاريخ إلى ما قبل عام ٢٧٠ق.م ومما يؤسف له أن هذا التاريخ قد وصلت لنا منه أجزاء مختصرة عن طريق المؤلف يوسف اليهودي «جوزيف» الذي ولد عام ٣٧م، فقد ألف مقالًا للرد على «أبيون» النحوي الإسكندري الذي كان يبغض اليهود من أعماق قلبه، وهو الذي ينسبهم إلى أنهم من أصل أبرص ومن منشأ دنس نجس، وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى عليه السلام، فرد عليه يوسف بأن هؤلاء الدنسين هم الهكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف، وقد دخلوا مصر فاتحين وليسوا عبيدًا، ولكي يؤيد رأيه نقل حرفيًّا بعض المقتطفات عن «مانيتون» في الفصل الخاص بالهكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وشفع ذلك بجدول يحوي أسماء الملوك من عهد تحتمس الأول إلى عهد رعمسيس الرابع وعددهم ٢١ أسمًا مع ذكر سني حكمهم والشهر الذي حكم كل منهم فيه، ومن المحتمل جدًّا أن يوسف لم ينقل ذلك مباشرة عن «مانيتون» نفسه، بل يحتمل أنه نقله عن المختصر الذي وضعه المؤرخون نقلًا عن «مانيتون». على أن هذا المختصر أخبرنا على الأقل أن «مانيتون» قد وضع جدولًا تامًّا لأسماء ملوك مصر من أول «مينا» إلى عهد البطالسة، مع ذكر تواريخ مضبوطة لحكم كل منهم، ولذلك بقي مختصر «مانيتون» — وهو لا يزيد عن جدول بأسماء الملوك والأسرات مع ذلك بعض حقائق مختصرة — المصدر الأصلي لكتَّاب العصر المسيحي عن تاريخ مصر إلى أن كشف عن أسرار اللغة المصرية، وأهم هؤلاء الكتَّاب «سكستس جوليوس أبريكانوسsextus Julius Africanus »، وقد نقل المختصر في كتابه التاريخي الذي وضعه حوالي عام ٢٢٠م، ويأتي بعده «يوزيب) Eusebe «٢٧٠–٣٤٠(، وله كتاب تاريخ محفوظ باللغة الإغريقية والأرمنية، وقد نقل عن المختصر من بداية الأسرة السابعة عشرة، ولكن من نسخة أخرى تختلف عن تلك التي نقل عنها سكستس الأفريقي.

وحوالي أوائل القرن التاسع الميلادي ألف «جورج» المسمى «سينسل» كاتم أسرار بطريق الإسكندرية تاريخًا نقله عن مختصر «يوزيب»، و«سكستس» الأفريقي، وقد رأى هذا المؤلف أن كتاب «مانيتون» ينقسم ثلاثة أقسام وأن الملوك كانوا مقسمين إلى ٣١ أسرة كل منها تنسب إلى جهة معينة في البلاد حسب أصل كل منها: الأسر الطينية والمنفية والألفنتية والإهناسية والطيبية ... إلخ، والمتن الأصلي يعطينا السنين والأشهر والأيام التي حكمها كل ملك ولا يذكر المختصر إلا الملوك المشهورين، وقد بقي ترتيب الأسرات الذي وضعه «مانيتون» الأساس الذي يعتمد عليه كل مؤرخ حديث في الكتابة عن مصر رغم الكشوف الحديثة، ويأتي بعد «مانيتون» مؤرخ عظيم اسمه «ديدور الصقلي» الذي ألف كتابًا عن مصر لم تمتد إليه يد الضَّياع، وقد وضع تاريخًا عامًّا، وعند كتابته عن أصل العالم قاده البحث إلى مصر التي تعد مهدًا للآلهة؛ لأن المصريين يقولون: إن بلادهم هي مهد بني الإنسان. على أننا نجد في كتاباته روح «هيكاته الأبدري» و«هيرودوت» يضاف إلى ذلك أنه زار وادي النيل حوالي عام ٦٠ق.م مما جعل مؤلفه ذا قيمة، ويلاحظ في كتاباته ميله إلى الأفكار الفلسفية والدينية، وقد جاء إلى مصر كثير من الجغرافيين الإغريق وبحثوا في بلاد النيل في عهد البطالسة، ومن هؤلاء «أرستوستين السيريني» الذي كان يعيش في الإسكندرية (٢٧٥–١٩٤ق.م.(

والظاهر أنه وصل غليه من محفوظات كهنة طيبة قائمة بأسماء ٣٨ ملكًا من ملوكهم ترجمها من المصرية القديمة إلى الإغريقية، وحفظها لنا جورج سنسل، وهذه القائمة تشتمل على أسماء ملوك من الأسرة الأولى إلى الأسرة العشرين، غير أن هذه القائمة لها ميزة خاصة؛ إذ إنها تضيف إلى كل اسم علم جملة تدل على معناه.

وفي عام ٢٧م زار «استرابون» مصر ووصل إلى الشلال الأول، وقد وصف في الفصل السابع عشر من جغرافيته هذه الزيارة وصفًا ممتعًا، غير أن ما كتبه عن التاريخ لا يتخطى عصر البطالسة إلا نادرًا، وكثيرًا ما كان ينقل عمن سبقه من المؤرخين وينسب لنفسه مشاهدة ذلك.

أما المؤرخ «بلوتارخ» ١٢٠م فإنه كتب عن مصر كتاب «إزيس وأوزير»، وهو الكتاب الوحيد الذي وضع أمامنا بحثًا منظمًا عن الديانة المصرية، وبخاصة عن إزيس وأوزير ومعناهما الحقيقي، والواقع أن معلوماته كانت مستقاة من مصادر جديرة بالاحترام، إذ أنها تطابق في معظم الأحوال ما دوِّن على النقوش المصرية القديمة

وفيما يلي ابرز تعاريف مصادر تاريخ مصر

حجر بالرمو :- وهو وثيقة قديمة جداً يرجع اصلها إلى حدود ٢٧٠٠ ق.م وهي قطعة من حجر الدايوريت محفوظة في متحف بالرمو في صقلية وهو ينتمي لأواخر الأسرة الخامسة المصرية القديمة أو ربما إلى أوائل الأسرة السادسة ويوجد هذا الحجر في معبد من معابد مدينة منفس ونقش على هذا الحجر سطور رأسية كتب عليها اسماء جميع الملوك الذين حكموا مصر منذ أيام عصر ما قبيل الاسرات وكذلك مدة حكم كل ملك وأهم اعمالهم ، الا إن هذا الحجر تحطم إلى قطع صغيرة عثر على ست قطع منه فقط

بردية تورين أو مخطوطة تورينو :- وهي من المصادر المهمة للبحث في تاريخ الحضارة المصرية وهي تحتوي على(٣٠٠) اسم من اسماء الملوك مع سنين حكمهم واعمالهم من عصر ما قبل الأسرات وعلى الاغلب ترجع إلى عهد رعمسيس الثاني وهي مكتوبة على ورق البردي فقط بالخط الهيروغليفي وكتبت اسماء الملوك المهمين باللون الاسود وقسمت البردية إلى مجموعات نسبت كل مجموعة منها إلى العاصمة التي استقرت فيها وتوجد هذه البردية بمتحف تورين بايطاليا وهي المرجع الأعلى لاسماء الملوك ، تم العثور عليها عام ١٨٢٠م

رسائل تل العمارنة أو أرشيف العمارنة :- وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من الرقم الطينية المكتوبة باللغة الاكدية والخط المسماري التي وجدت في ارشيف قصر الملك اخناتون تم اكتشافها عام ١٨٨٥م حيث قامت احدى النسوة في تل العمارنة باستخراج التربة من اجل صناعة الآجر الطيني وخلال الحفر استخرجت بالصدفة بعض الرقم المسمارية ، اعتقد الباحثون في البداية ان هذه الرقم مزورة لكنه تبين فيما بعد انها حقيقية ورسائل تل العمارنة هي عبارة عن مراسلات دبلوماسية من عدة ملوك موجهة للملك اخناتون

قائمة ابيدوس :- وهي من المصادر المهمة وهي اللوحة المسماة بلوحة (الاجداد) وجدت على جدران معبد ابيدوس وهي معروضة الآن في لندن وتحوي على (٧٦ أسماً)من اسماء ملوك مصر وابيدوس هي احدى مدن مصر القديمة بمصر العليا ، ويجمع علماء الآثار عاى انها عاصمة مصر الأولى وتقع بين اسيوط والاقصر بالقرب من قنا وكانت مدينة مقدسة واكتشف في هذه المدينة اقدم القوارب في التاريخ في المقابر القديمة واشتهرت هذه المدينة بتسمية الكثير من ملوكها بأسم رمسيس واحتفظت ابيدوس بمكانتها المميزة ايضاً خلال الحقبة المتأخرة وقد بنيت فيها قبور عظيمة للشخصيات الكبيرة خلال الحقبة المتأخرة

قائمة الكرنك :- وهي من المصادر المهمة عبارة عن قائمة منقوشة على جدران معبد الاله آمون بالكرنك تحتوي على (٦٢فرعون) حكموا مصر من عهد السلالة الاولى إلى السلالة الثامنة عشر من عصر توحتمس الثالث وهي تمدنا بأسماء ملوك لم يذكروا في القوائم الاخرى

قائمة صقارة او سقارة :- وهي من المصادر المهمة التي عثر عليها العالم الآثاري (ماريت) في مقبرة احد الكهنة ونقش عليها اسم (٥٨ ملك) من الملوك مصر وهذه القائمة موجودة حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة ولوحة صقارة هي عبارة عن لوحة منحوتة من الحجر

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الثالثة

عصور ما قبل التاريخ

وينحصر عصر ما قبل التاريخ المصري في المدة التي بدأ الإنسان يظهر فيها في وادي النيل إلى بداية الأسرة الأولى حوالي ٣٢٠٠ق.م.

وقد أسفرت البحوث التي قام بها العلماء في مدة الأربعين عامًا الأخيرة عن تقسيم هذا العصر الطويل إلى ثلاثة أقسام رئيسية، ولا يزال العصر الأول منها غير معترف به من كل رجال هذا العلم؛ إذ البعض يُقِرُّه وطائفة منهم تنكره:

- **العصر الأول:** ويطلق عليه اسم عصر ما قبل الحجري القديم «الأيوليتي»، وقد استعملت فيه أحجار الظِّرَّان كما وجدت في الطبيعة مع بعض التهذيب.
- **العصر الثاني:** ويطلق عليه اسم العصر الحجري القديم «الباليوليتي» هو عصر استعمال الحجر المهذب تهذيبًا بسيطًا بعد القطع، ومنه يتفرع العصر الحجري الحديث «النيوليتي»، وهو عصر الحجر المصقول بعد التهذيب.

- **العصر الثالث:** الذي ظهر فيه استعمال المعادن، ويطلق عليه عصر بداية استعمال المعادن «الأنيوليتي»، وقد استعمل في هذا العصر الحجر والنحاس والحديد لعمل الآلات جنبًا إلى جنب،

عهد فجر العصر الحجري القديم»

لا جدال في أن الإنسان الأول عندما ظهر على سطح البسيطة، كان أول هم له أن يجد لنفسه سلاحًا يدافع به عن كيانه ضد الحيوانات التي كانت تحيط به ويعيش في وسطها، ولا بُدَّ أن أول ما فكر فيه من الأسلحة ما كان في متناوله، فمثلًا كان يقطع فرع شجرة ويهذبه ليدافع به عن نفسه، وكذلك كان يجمع ما حواليه من الأحجار الصلبة التي هيأتها له الطبيعة، ثم يهذبها بنفسه بعض الشيء ليجعل لها حدًّا قاطعًا ويستعملها في أغراضه،

وفي استطاعة الإنسان في مصر أن يجمع قطعًا عدة من آلات هذا العصر من هضبة الصحراء، ولكنها كذلك مشكوك في تاريخها، وسبب ذلك يرجع إلى أن فعل المؤثرات الجوية مثل الحر والبرد وتعاقب الليل والنهار، يحدث تفتت قطع من الظِّرَّان جديدة تشبه القطع الأيوليتية القديمة، وقد جمع الأستاذ «شفينفورت» قطعًا كثيرة من هذا النوع من محطات أبواب الملوك. على أن كثيرًا من هذه القطع يظهر فيها فعل يد الإنسان، ولكنا نجدها مختلطة بآلات من العصر التالي لهذا العصر، وهو ما يسمى العصر الباليوليتي (العصر الحجري القديم)، وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها من عصر

أقدم، والواقع أنه لا توجد محطة مصرية قديمة أو حديثة إلا وفيها آلات صنعتها يد الإنسان وقطع من صنع الطبيعة نفسها، ثم استعملها الإنسان بمهارة، ولا نزاع في أن المبدأ القائل بالاقتصاد في استعمال القوى الإنسانية في الإنتاج، قد لعب دورًا عظيمًا في حياة الإنسان الأولى في مصر، كما كان الحال في البلاد الأخرى، ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الإنسان كان يستعمل القطع الطبيعية في الاستعانة بها على قضاء أغراضه في أول نشأته وفي فترة عدم درايته بالصناعات.

العصر الحجري القديم

هذا العصر يعرف بعصر استعمال الحجر المهذب، وينقسم ثلاثة أقسام: وهي الحجري القديم الأسفل، ويشمل ما يقابله في أوروبا من الصناعات الشيلية[١] والآشيلية،[٢] ثم العصر الحجري القديم المتوسط، وفيه تسود الصناعات، الموستيرية Mousterienne[٣] وأخيرًا العصر الحجري القديم الأعلى، وقد سادت فيه الصناعة الأوريجناسية Aurignacienne[٤] ثم الصناعة السولوترنية Solutereenne[٥] ثم الصناعات المجدلية Magdalenienne.[٦]

العصر الحجري الحديث

ويتلو العصر السالف عصر بداية المعادن، وهو عصر استعمال الحجر المصقول بعد التهذيب، وهذا العصر أقسامه مرتبكة ولا ضرورة للخوض فيها الآن.

عصر بداية استعمال المعادن

وهو عصر الانتقال؛ إذ في خلاله بدأ الإنسان يستعمل المعادن، وقد توالى فيه استعمال النحاس والذهب ثم البرنز فالحديد، على أن عهد استعمال الحديد في مصر كان شاذًّا بالنسبة للبلاد الأخرى، وذلك أن مصر في عهد أوج مجدها وسؤددها التاريخي بدأ يُستعمل هذا المعدن فيها، ولم يكن معروفًا من قبل.

مدينة العصر الحجري القديم

يعد هذا العصرُ العهدَ الذي وُجد فيه أول أثر لبقايا الإنسان؛ إذ عثر فيه فعلًا على بعض عظام بشرية وعلى الآلات التي كان يستعملها الإنسان، غير أنه من المستحيل علينا أن نحدد في أي عهد وقبل أي عدد من آلاف السنين قبل الميلاد ظهر الإنسان في العالم، وكل ما يمكن الجزم به في هذا الموضوع هو أن وجود الإنسان على ظهر البسيطة يرجع إلى أزمان سحيقة جدًّا، والتقديرات المعتدلة ترجع بظهور الإنسان إلى آلاف عدة من السنين، وفي خلال هذا العصر الطويل جدًّا قد حدثت تغيرات وتقلبات عظيمة ظاهرة جلية لا تقتصر على شكل الآلات وصناعتها ولا شكل الإنسان الذي كان يستعملها فحسب، بل تتناول كذلك التقلبات الجوية التي كانت تحيط به والتي كان من أثرها أن حدث تغير كلي في الحيوان والنباتات التي كانت تعيش وتنبت فيه، وهذا العصر الذي نحن بصدده يقع في أوائل الزمن الجيولوجي الرابع، وفيه حدثت في الجو تقلبات من بارد إلى حار كما أثبت ذلك علماء الجيولوجية.

ويتميز هذا الزمن بزحف الجليد الذي غمر الجبال الشامخة ثم تقهقر ثانية مما كان يسبب انخفاض درجة الحرارة، وكل ما يهمنا في ذلك هو أن العصر الحجري السفلي قد بدأ في نهاية عصر حدث فيه

تقهقر جليدي، على حين أن العصرين الحجري المتوسط والأعلى يتفقان مع الزمن الجليدي المتتابع، وبظهور العصر الحجري الحديث تبتدئ فترة تقهقر جليدي جديدة لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

العصر الحجري القديم السفلي

يمتاز هذا العصر بجو حار رطب يشبه جو المناطق الاستوائية الآن، غير أنه كان يميل إلى البرودة التدريجية، وهذه الحالة في أوروبا تنطبق على أفريقيا الشمالية أيضًا، على أن الوصف الذي أوجزناه عن القطر المصري في فجر عصر ما قبل التاريخ يمكن تطبيقه على الأقاليم الواقعة شمال حوض البحر الأبيض المتوسط، ولدينا براهين عدة من حفريات العظام التي استخرجت من رواسب الزمن البلستوسيني (الزمن الرابع)، وقد عرفنا أنه كان ينمو في أوروبا في ذلك العهد حيوانات من ذوات الثدي، في وسط غابات كثيفة وعلى شواطئ مجاري مياه، وكانت عظيمة الحجم مثل جاموس البحر ووحيد القرن، والفيل الضخم والدب والضبع والغزال والحصان وغزال الأركس. وقد اختفى كثير من هذه الحيوانات الآن، على حين أن بعضها قد هاجر فيما بعد نحو الأقطار الاستوائية هاربًا من شدة البرد الذي اكتسحه في الزمن الذي تلى هذا العهد.

وعثر على بعض بقايا بشرية مختلطة ببقايا حيوانات معاصرة، غير أن ما عثر عليه لم يكن إلا أجزاء من جماجم مثل فك «مور»[٧] المشهور أو بعض عظام بسيطة، وقد سهَّل جو هذا الزمن المعتدل للإنسان أن يعيش في الهواء الطلق على شواطئ الأنهار والبحيرات أو في الغابات، وكان هذا الإنسان يتخذ أكواخًا من فروع الأشجار مسكنًا له. أما مقابرهم فيظهر أنها قلبت رأسًا على عقب بفعل الفيضانات التي كانت تخرِّب هذه الجهات تخريبًا ذريعًا، ولذلك لم يعثر منها على آثار تُذكر، مع أن هذه البقايا الضئيلة التي عثر عليها في الرواسب — وهي بلا شك — ذات قيمة عظيمة، قد عرفنا منها أن الجنس البشري في ذلك الوقت كان منحطًّا جدًّا، غير أن عدم العثور على هيكل تام لم يمكننا من إعطاء رأي قاطع في تركيبه الطبعي.

أما عن صناعة هذا العصر فإن معلوماتنا قد زادت؛ لأن بعض المواد التي استعملها إنسان ذلك العصر تكاد تكون غير قابلة للتلف رغم مر العصور. حقًّا إن الدبابيس ذات القبضة المصنوعة من الخشب، لم تحفظ لنا كغيرها من الأشياء المصنوعة من المواد القابلة للعطب مثل جلد الحيوان ولحاء الأشجار، التي كان يستعملها ذلك الإنسان غطاء له، ولكن أسلحة الصيد والحرب وكذلك الآلات التي كان يستعملها في سلخ فريسته كانت مصنوعة من حجر صلب وأرهف حدها، وقد قاومت هذه الآلات تأثير الزمن وبقيت إلى عصرنا هذا، وقد عثر عليها مهملة على شواطئ الأنهار مدفونة تحت طبقات سميكة من الحصا الذي دحرجته تيارات الماء السريعة معها، وكان إنسان ذلك العصر عندما يعوزه الظِّرَّان وهو أهم مادة لصنع آلاته، يستعمل بدلًا منه الكورتسيت أو الأحجار البركانية أو الحجر الجيري الأبيض الصلب، وأهم آلة كانت مستعملة في هذا العصر هي «البلطة» الغليظة البيضية الشكل، وقد تكون مثلثة ذات شفرات حادة تتصل بحد مرهف قاطع، وتصنع هذه الآلة من قطعة من الظِّرَّان طبيعية على شكل الكلى، وذلك بإزالة شظايا متعادلة من حروف قطعة الظِّرَّان هذه بوساطة أزميل، وهذه الآلة كانت عظيمة الخطر في يد المحارب، على أنها كانت كذلك تستعمل لأغراض أخرى، ويوجد نوع منها لم يهذب إلا من أحد وجهيه ويستعمل كمقطع لتخليص العظام من اللحم ولسلخ الجلود.

وخلافًا لهذه الآلات التي يطلق عليها ذات الوجهين Bifaces، والتي قد تصل أحيانًا إلى حجم عظيم، فإن إنسان هذا العصر استعمل شظايا بسيطة كان يحصل عليها بقطع كلية من الظِّرَّان تهمل نواتها في النهاية، ويلاحظ دائمًا أن كل شظية تقطع بهذه الكيفية فيها بروز مستدير عند النقطة التي وقع عليها الكسر، الذي يترك أثرًا على هيئة تجويف في النواة نفسها، وهذه العلامة تعد بمثابة خاصية مميزة للمصنع الذي صنعت فيه، مما يثبت لنا أن هذه الشظية قد قطعت وهذبت قصدًا وذلك مما لا يوجد في الشظايا الطبيعية.

وهذه الشظايا مرهفة الحد كالموسى القاطع، ولذلك كانت تستعمل بدلًا من السكاكين، وأحيانًا تستعمل كمشط، وذلك بعد إجراء بعض إصلاح في أحد وجهيها أو في نهاية الشظية، وهذه الإصلاحات أو «الرتوش» لا تتناول الوجه العلوي من الشظية، ولذلك يطلق عليها اسم الآلات ذات الوجه الواحد، وكذلك يدخل تحت هذا النوع من الآلات ذات الوجه الواحد الشظايا التي كانت تصنع بهذه الكيفية، لتحضير الجلود والعظام التي كان يستعملها إنسان هذا العصر.

أما عن أخلاق هذا الإنسان وعاداته، فإنا لا نكاد نعرف عنها شيئًا قط، اللهم إلا أنه كان لا يختلف كثيرًا عن قبائل الأقزام الذين يتجولون في الغابات الاستوائية، ويعيشون على صيد البر والبحر.

وإذا كنا لا نعرف شيئًا عن هذا الإنسان من الوجهة الاجتماعية أو الخلقية والدينية، لأنها لا تزال موضع تخمين، إلا أننا من جهة أخرى يمكننا أن نحكم عليه من الآلات التي صنعها، والتي هي الآن في متناولنا؛ إذ تبرزه لنا كإنسان راقٍ يسيطر بذكائه على الحيوان الذي يشن عليه الحرب يوميًّا، يضاف إلى ذلك أنه كان في قدرته أن يخترع ويحسن كل ما هو في متناوله، فقد عرف كيف يوقد النار ويطهو طعامه، هذا رغم أنه كان لا يعرف إلى هذا الوقت صناعة الفخار، واستعداد هذا الإنسان وقدرته على أسباب الرقي يظهر جليًّا عندما ننتقل من طبقة إلى أخرى في القطاعات التي بحثت في الأماكن التي يرجع عهدها إلى العصر الحجري القديم، فمثلًا نلاحظ أن البلطة الثقيلة الخشنة الصنع التي توجد في أسفل طبقة من العصر الحجري تخفُّ تدريجيًّا في الطبقات العلوية، ويحل محلها آلات أحسن صنعًا، وبذلك تختفي الصناعة الشيلية الخشنة أمام الصناعة الآشلية التي أنتجت آلات تعد من فرائد الفن.

العصر الحجري الحديث

على أن العصر الحجري الحديث نفسه مرتبط تمام الارتباط بالعصر الذي يليه، وهو عصر بداية استعمال المعادن، ولا يتميز العصر الحجري الحديث عن عصر بداية المعادن بوجود معادن مختلفة في كل، فالواقع أن النحاس والذهب كانا موجودين في كليهما غير أنهما كانا يستعملان في العصر الأول أدوات للزينة وبدرجة محدودة. أما في العصر الثاني فكانا يستعملان في أغراض شتى وبدرجة عظيمة وبخاصة النحاس، فإنه كان يستعمل في صنع الآلات بدلًا من الظِّرَّان، ويعد علماء الجيولوجية أن العصر الحجري الحديث يبتدئ في نهاية العهد البلوستسيني وبداية العصر الهيلوسيني؛ أي العصر الرابع في تكوين القشرة الأرضية، وهذا العهد هو في الحقيقة فجر الأزمان الحديثة؛ إذ فيه أخذت أحوال الحياة العامة للإنسان تتغير تدريجًا عن أحوال الحياة التي يخضع لها بنو البشر في أيامنا هذه.

وتتفق بداية العصر الحجري الحديث مع عصر تقهقر الجليد الذي ظل إلى يومنا هذا، ففي أفريقيا الشمالية أخذ الجو يصير أكثر جفافًا وأشد حرارة من العصر السابق، وقد أخذ ذلك يظهر في الهضاب الصحراوية التي بدأت تتكون منذ العصر الحجري القديم الأعلى. والواقع أن قلة الأمطار وشدة التبخر سبَّبَا نقصًا محسوسًا في نظام المياه، ولكن على الرغم من ذلك بقيت بعض جهات الصحاري معمورة، وبخاصة الأماكن التي حول عيون الماء والبحيرات التي تكونت من مجاري مياه ضئيلة. أما باقي الجهات فقد انقلبت فيها الغابات اليانعة التي كانت تسبغ عليها بهجة ورونقًا إلى أرض عشبية لا يستطيع الإنسان أو الحيوان البقاء فيها، وفي خلال هذه المدة أخذ وادي النيل يكوِّن ببطء شكله الحالي، وكذلك بدأ النهر يسير في النظام الذي هو عليه الآن، وقد كان هذا النهر في خلال تكوينه يترك رواسبه في الوادي الذي يغطيه بالمياه، ثم ينكمش تدريجيًّا حتى أصبح على ما هو عليه الآن؛ إذ كان في كل عام يفيض على جانبيه في تاريخ معين لمدة ثلاثة أشهر، ويترك الغرين الذي يجلبه معه من منابعه مما يكسب الوادي خصبًا، وعند انتهاء هذا الفصل ينكمش مجرى النيل، ثم يترك مجموعة من المستنقعات على حافة الصحراء حيث قد خلفت مياهه الجزء الأعظم من الغرين على السهل، وفي هذه المستنقعات كانت تنبت بكثرة النباتات المائية وبخاصة السَّقي «البردي» الذي كانت تأوي إليه الحيوانات الخطرة كجاموس البحر والتمساح، أما باقي السهل فكان يغطى كل عام بنباتات يانعة تنعدم

وتزول بسرعة في خلال تسعة الأشهر التي كان الحرُّ فيها مهلكًا، وكانت مخلفات هذه النباتات تئوي الحيوانات والحشرات المؤذية، وقد تكونت في مصب النهر القديم المعروف بالدلتا طبقات غرين وكانت لانخفاضها مؤلفة من مستنقعات عدة مزدحمة بالبردي ولم تكن حدودها معينة، وذلك بسبب البرك التي تغمر معظمها.

أما مساكن الإنسان منذ بداية هذا العصر فإنها تتمشى مع التغيرات الجوية التي سنبينها، فقد هاجر إلى وادي النيل بجوار مجاري المياه الغزيرة التي لا تزال موجودة، كل سكان وديان البيداء وصحراء العرب، وهؤلاء كانوا البقية الباقية من قبائل أخذت تجوب في خلال الأزمان السالفة الجبال والهضاب التي كانت تغطيها الغابات البِكْر. والواقع أن العصر الحجري الحديث هو العصر الحقيقي الذي أهلت فيه مصر بالسكان.

أما القرى فكانت واقعة على المرتفعات البسيطة التي على حافة الوادي، وكان الجزء الخصب منه في هذا الوقت أقل انخفاضًا واتساعًا مما هو عليه الآن بعد أن غمره الغرين مدة اثني عشر ألفًا من السنين تقريبًا، ولا شك في أن هذه القرى قد غطيت الآن بالطبقات السميكة من الغرين، الذي لا ينفك يزداد من قرن لقرن ويمكن العثور عليها لولا أن ارتفاع منسوب المياه في الطبقات الأرضية، الذي نلاحظه الآن، يحول بيننا وبين الوصول إلى ذلك، وهي موجودة غائرة في سفح التلال أو المرتفعات الصناعية في كل المدن المصرية التي ظهرت في فجر التاريخ، وتقع عادة بعيدة عن النيل وقريبة من الصحراء، ويظهر لنا فيها أسس يرجع عهدها إلى العصر الحجري الحديث، ولحسن الحظ عثر على بعض قرى نيوليتية واقعة في الصحراء أخطأها غرين النيل، ونخص بالذكر قرية العمري، وهي «رأس حوف» القريبة من القاهرة، وقد سميت العمري نسبة إلى الأستاذ العمري الذي عثر عليها حديثًا، وقد مات وهو في ريعان شبابه، وكذلك مرمدة بني سلامة الواقعة على حافة الدلتا الغربية، ثم ديمة، وكوم أوشيم، وقصر الصاغة، والمواقع الأربعة الأخيرة في مديرية الفيوم. أما في الوجه القبلي فقد عثر على مدينة جديدة في بلدة «دير طاسا» وفي طوخ والقطارة والجبلين.

وأهم من هذه البلاد من الوجهة الأثرية المقابر التي من العصر الحجري الحديث فإنها محفوظة وواقعة على حافتي الصحراء على كِلَا جانبي النيل؛ إذ هي بطبيعة الحال بعيدة عن الفيضان، يضاف إلى ذلك ما يعثر عليه مهملًا على سطح الصحراء من بقايا الصناعات بالقرب من القرى والمقابر، مما يدل على الأماكن التي كان لا يزال الإنسان يصنع فيها الظِّرَّان.

ويمتاز العصر الحجري الحديث بأنه عصر نهضة الصناعة، وقد كان ذلك نتيجة تحول الإنسان في ذلك العهد من عيشة الصيد إلى عيشة الرعي وفلاحة الأرض، ولذلك قامت نهضة حقيقية في صناعة الظِّرَّان؛ إذ خلفت الأشكال المكرولیتية التي كانت في العصر الجفسي الأسلحة الكبيرة من الظِّرَّان، ويجب أن نشير هنا إلى أطراف الحراب والنصال المهذبة تهذيبًا جميلًا من كِلَا الوجهين، وكذلك سنان السهام المصنوعة برشاقة ودقة.

أما الآلة التي يتميز بها هذا العصر أكثر من غيرها، حتى إن اسمها أصبح أحيانًا يطلق على هذا العصر فهي الفأس المصقولة، وهي قطعة من الظِّرَّان على شكل الكلى المستطيلة وهي منحنية من أحد طرفيها لتصير قاطعة، وقد كان يركب فيها مقبض، ولذلك كانت تستعمل كفأس أو قَدُوم.

وبجانب الظِّرَّان كان يستعمل كذلك العظم في عمل أسنة الخطاطيف، ولعمل آلات كالمنحت أو المنقش والإبر لشغل الجلود، ومن صناعة هذا العصر كذلك النسيج وعمل الحصر والفخار الذي لم يعثر على أي نوع منه قبل هذا العهد، ومن المدهش أنه انتشر في هذا العصر بسرعة، وأصبح استعماله منتشرًا انتشارًا عامًّا، ففي مصر السفلى عثر في مرمدة بني سلامة على أقدم فخار عمله الإنسان دون استعمال أية آلة في صنعه، وأول نوع ظهر لنا كان خشن الصنع وليس عليه أي نوع من الزخرفة، اللهم إلا في القليل النادر، فإنه كان يشاهد على حافة الإناء أو مقبضه شريط محفور بالأصبع، وبجانب هذا الفخار ظهر نوع آخر دقيق الصنع لونه أحيانًا أحمر وأحيانًا أسود، وكان يصقل بكل اعتناء قبل

حرقه، وأشكال هذا الفخار متعددة وتشمل كل أنواع الأطباق والأكواب والجرار والأباريق، ويلاحظ أن بعض هذه الأواني لها أزرار بارزة أو ثقوب في جوانبها، وذلك ليعلق فيها خيط تحمل به.

بدأ الإنسان في هذا العصر يعيش عيشة الرعاة والفلاحين، وأخذ يسكن القرى بعد أن كان جائلًا من مكان لآخر، وذلك يرجع لتغير حالة الجو في أفريقيا الشمالية، وقد نشأ عن هذا الجفاف المتوالي في هذه الجهات، بسبب قلة الأمطار أن اختفت النباتات والأشجار التي كانت تنبت على الهضاب المترامية الأطراف تدريجًا، وكذلك أصبحت مناطق الصيد قليلة، ومن أجل ذلك أخذت القبائل في الأقاليم التي كانت تسكن فيها أو تجول في أنحائها تتنبه إلى خطر الجوع من قلة حيوان الصيد، فبدأت تربي الحيوانات القليلة الخطر كالثور والخروف والماعز والخنزير، لتكون ذخيرة لهم من اللحوم الحية، وكذلك أخذت القبائل تزرع الحبوب المغذية وبخاصة الشعير.

ولما ازداد جفاف تلك الهضبة الشاسعة، ولم تبقَ منابع ماء في صحراء العرب أو في صحراء لوبيا، أخذ أفراد القبائل النيوليتية يجتمعون في قرى في وسط أراضيهم التي يتعيشون منها برعي الماشية أو بالزراعة في وادي النيل، وكانوا لا يزالون يحترفون صيد البر والبحر وذلك اقتصادًا لمواشيهم الأليفة من جهة، وليقضوا على الحيوان البري المفترس، وعلى الحيوانات المائية الضارة مثل جاموس البحر الذي كان يعد خطرًا يهدد حياتهم على الدوام من جهة أخرى، غير أن الصيد لم يكن عندهم من الأمور الحيوية بل كان شيئًا ثانويًّا، والواقع أن هذه القبائل أصبحت أهل فلاحة بالمعنى الحقيقي، وكانت قرى العصر النيوليتي مؤلفة من عدد من العشش المنفصل بعضها عن بعض، ويحتمل أنها كانت مسورة بسياج مؤلف من الأوتاد حماية لها، وقد عثر على قرى من هذا العصر في مرمدة بني سلامة، وهي على نوعين مختلفين تمام الاختلاف، فبعضها يشبه عشش الفلاحين الحاليين التي تقام في وسط المزارع وقت الحصاد، وكانت العشة تتركب من جدران مصنوعة من الغاب يحفظها من التداعي أوتاد مثبتة في الأرض، وإذا كانت العشة مبنية من جهاتها الأربع كانت تأخذ في الغالب شكلًا بيضيًّا منظمًا بعض الشيء، وأحيانًا تكون هذه العشش على شكل ستارة مقوسة المنظر محكمة القفل من الجهة التي يهب منها الريح، وبخاصة الجهة الجنوبية الغربية أو الجهة الشمالية، ولا شك في أن وجود مواقد في هذه العشش وكذلك وجود أوان مصنوعة من الفخار يدل دلالة واضحة على أنها كانت تستعمل سكنًا للإنسان. وقد عثر بالقرب من هذه العشش على أسوار بيضية الشكل لا تزيد مساحتها عن متر في نصف متر تقريبًا، ويحيط بها جدار لا يزيد ارتفاعه عن نصف متر، ويستدل منه على أنه لم يكن فوقه مبنى آخر، ولا يبعد أنه كان يُستعمل مخازن لحفظ الحبوب، وكانت جدران هذه المخازن تقام من طين معجون كتل منه الواحدة فوق الأخرى على غير نظام، أما رقعة العشة فإنها كانت تغطى بطبقة من الطين المعجون، وكانت تحفر بعض الشيء على شكل صحن، وتجهز في الجزء المنخفض منها بإناء مثقب مثبت في الأرض لجمع المياه وتصريفها. أما أساس العشة فكان يثبت في الأرض على عمق لا يزيد عن خمسة وعشرين سنتيمترًا، وكان يوجد في العشش الممتازة قصبة ساق جاموس البحر مثبتة عموديًّا في الجدار الداخلي، لتكون بمثابة سلم لتسهيل الدخول فيها، وقد وجدت بقايا حصر كانت على أرض سطح العشة، ولا ريب في أن هذه الأكواخ أو العشش كانت تستعمل مأوى لأهالي مرمدة القدماء يحتمون فيها من العواصف والمطر، ويبيتون فيها ليلًا عند اشتداد البرد، ومن المدهش أنه لا يوجد في هذه العشش أي أثر من آثار الإنسان ولا آية آلة من الآلات التي كانت تستعمل في الحياة المنزلية. أما سقف هذه العشش القليلة الارتفاع، فكان يصنع من حصير سميك من الغاب يوضع أفقيًّا، وفي حالة واحدة عثر على مكان عمودين متقابلين في إحدى هذه العشش، ومن المحتمل جدًّا أنهما كانا قد وُضِعَا لأجل أن ينصب عليهما جلد حيوان لتغطية السقف، وربما كان ذلك أول محاولة لعمل خيمة يحمي إنسان هذا العصر فيها نفسه من زمهرير البرد وقيظ الحر.

أما في قرية العمري ـــ السالفة الذكر ـــ فإن عششها وجدت على شكل مستدير وفي وسطها موقد، وعلى مقربة من هذه العشش كانت تقام سلات عظيمة من الحصير المجدول لها غطاء، ومدهوكة بغرين النيل كانت تستعمل مخازن لحفظ الحبوب.

أما المدافن النيوليتية فكانت كالتي في مرمدة تحفر في القرية نفسها على مقربة من الأكواخ، وكانت تحفر كلها في مكان خاص — كما هو الحال في العمري وفي كل الوجه القبلي — بالقرب من القرية على حافة الصحراء بعيدة عن فيضان النيل، وكان كل قبر على شكل حفرة بيضية المنظر كالكوخ نسه، وكانت الجثة توضع راقدة على الجانب الأيمن غالبًا في قرى الوجه القبلي، أما في الوجه البحري فكانت توضع على الجانب الأيمن مثبتة بحيث تضم الركبتان نحو الصدر في معظم الأحيان، أما وجه المتوفى فكان يتجه نحو المساكن، وقد عثر أحيانًا على جثث موضوعة على حصير أو ملفوفة في جلد أو حصير، وقد لوحظ في مرمدة بني سلامة أن يد المتوفى كانت توضع بالقرب من فمه، وأحيانًا شوهد أن إحدى أصابعه كانت في أسنانه، وكذلك لوحظ أن حبوبًا من القمح كانت مبعثرة في يده أو حول رأسه، وفي بعض المقابر عثر ضمن محتوياتها على أوان عادية ولوحة لطحن مادة الزينة وعلى آلات من الظِّرَّان، وهذه المقابر لم تكن فوقها مبان أخرى. هذا خلاف قرية العمري التي كان يعلَّم فيها القبر بعدة أحجار مكومة بعضها فوق بعض، وقد استعمل كثير من هذه المقابر لدفن أكثر من واحد من أفراد الأسرة، وفي هذه الحالة كان يجهز مكان في القبر للقادم الجديد، وذلك بجمع عظام الموتى القدماء ووضعها بعناية في جانب من القبر، وهذه العادات المأتمية التي تدل على أن القوم كانوا يعتقدون بحياة أخرى هي المصدر الوحيد لدينا عن معتقدات العصر النيوليتي، ولا يبعد قط أن تكون هذه العادات النيوليتية التي عثر عليها في هذه القبور، هي التي نهج على منوالها قدماء المصريين وبقوا يسيرون عليها في كل عصور التاريخ الفرعوني مع إدخال تحسينات عليها. أما من جهة ديانتهم الحقيقية وآلهتهم وعباداتهم فإننا لا نعرف عنها شيئًا قط، وذلك أمر طبيعي؛ لأن الكتابة لم تكن معروفة بعد.

ومن المدهش أن روح الفن في هذا العصر كاد يكون منعدمًا، وربما كان السر في ذلك أن إنسان هذا العصر كان موجهًا كل همه إلى تحقيق الأشياء العملية، فكانوا يصنعون الفخار ليستفيدوا منه لا للزينة، وكذلك كانت حليهم كالقلائد والأساور التي تصنع من العظام أو الطين المحروق نادرة وساذجة، ولا يظهر فيها أي ذوق فني، ولكن رغم انعدام الروح الفني في هؤلاء القوم بالمعنى الحقيقي فإنا نجد الرشاقة الفنية في بعض الأواني وبعض سنان الحراب، مما كان يبشر باستعدادهم للذوق الفني الذي نما فيهم فيما بعد، ومنذ ذلك العصر نشاهد بعض علامات منها نستخلص أن مدنية وادي النيل، كانت تنقسم قسمين متميزين عن بعضهما، وينحصر القسم الأول في الفيوم والدلتا والثاني في الوجه القبلي، وتمتاز مجموعة المدنية الشمالية بأنها أقدم من مدنية الوجه القبلي وأكثر تقدمًا، وهي التي ظهرت فيها سنان الحراب الفاخرة المهذبة على شكل «ورق الغار» الذي ورد ذكره — فيما سبق — وتعد هذه السنان والبلط المصقولة التي توجد في كل مكان الآلات التي يمتاز بها هذا العصر، وقد وجدت أدلة كثيرة في بحوث أخرى تثبت هذه الحقيقة.

عصر بداية المعادن

يمتاز عصر بداية استعمال المعادن بظهور صناعة جديدة، غطت على صناعة الظِّرَّان، وأعنى بذلك صناعة المعادن؛ إذ وجدت في هذا العصر آلات وحلي من النحاس والذهب في بادئ الأمر، ثم عرف فيما بعد استعمال الشبه «البرنز»، وباستعمال المعادن أخذ الإنسان الأنيوليتي يستغني تدريجًا عن صنع آلاته من الظِّرَّان والأحجار الصلبة الأخرى التي كان يستعملها في العصور السابقة. على أن صناعة الظِّرَّان لم تدرس جملة، بل بقيت بعض الشيء حتى في العصور المصرية التاريخية؛ وذلك لأن المصري كان بطبعه عبدًا للتقاليد والعادات، فكان يستعمل الظِّرَّان في أوج مدنيته سنانًا للسهام وغير ذلك. هذا العصر قد أطلق على العهد الذي سبق بداية التاريخ أي عهد ظهور الكتابة في مصر.

والواقع أننا إلى الآن في كل بحثنا عن مدنية ما قبل التاريخ في العصور القديمة، لم نجد مميزات بارزة يمتاز بها وادي النيل عن باقي ممالك العالم، اللهم إلا بعض خصائص قليلة، ولكن من جهة أخرى لاحظنا على وجه عام أن مدنية الوادي تتفق في مجموعها مع المدنيات الأوروبية في تلك

العهود السحيقة في القدم، وكذلك تتمشى بوجه خاص مع عصور ما قبل التاريخ العام في أفريقيا الشمالية.

ومع أن عصر بداية المعادن في أوروبا يتفق مع عصر ظهور المعادن في وادي النيل، إلا أننا نشاهد من جهة أخرى أنه قد ظهرت فيه مميزات خاصة معلمة، أخذت تزداد وضوحًا، حتى إنها صبغت ثقافة هذا العصر بصيغة أصلية، وأعطته لونًا خاصًّا ميزه عن الممالك المجاورة، ويمكن تشبيه هذه المدنية الخاصة بانبثاق غصن ناشئ أينع في أصل شجرة في شيخوختها، فأزهر وأثمر ثمارًا مختلفة أنواعها، وهذه الحياة الجديدة التي انبعثت في البلاد دب دبيبها في كل نواحي الفن والصناعات، كصناعة الفخار، وفي حفر العاج والخشب، وتهذيب الظِّرَّان، وصنعه آلات بلغت الدرجة القصوى في الإتقان.

ويرجع الفضل في إبراز هذه الثقافة المصرية من مكمنها في بدايتها إلى جهود العلماء الذين وقفوا حياتهم عدة أجيال على القيام بالحفائر، التي أنتجت العناصر التي منها تتألف تلك الثقافة، لذلك كان لزامًا علينا قبل أن نبدأ في درس هذه المدنية الأنيوليتية أن نمر سريعًا بكلمة موجزة على أعمال هؤلاء الباحثين في الحفر والتنقيب.

وأول من فتح الطريق في هذا المضمار هو الأستاذ «فلندرز بتري»، وذلك في عام ١٨٨٩ عندما قام بحفائر في اللاهون «كاهون»[١٠] وغيرها عند مدخل الفيوم، ثم تابع أعماله في ميدوم، فطوخ، فالبلاص. وكذلك قام العالم «دي مرجان»، «وأملينو» الفرنسي، ثم «ماك إيفر»، «وجارستانج»، بحفائر في نقادة، و«العرابة»، والكاب، وغيرها من المواقع الأثرية.

أما في بلاد النوبة فقد قام الأستاذ «ريزنر» بحفائر في المواقع التي كان يهددها تعلية خزان أسوان، وقد وصف لنا البحاثة «ستون كار» مصنعًا عظيمًا عثر فيه على سكاكين ذات وجهين فخمة الصنع وذات أحجام خارقة للحد المألوف، ويقع هذا المصنع في «وادي الشيخ» بالقرب من بلدة مغاغة بجوار الآبار القديمة التي كانت تحفر لاستخراج الظِّرَّان.

وفي عام ١٩٢٤-١٩٢٥ بدأ المستر «برنطون» بعمل حفائر في جبانات بالقرب من بلدة البداري الحالية، وقد أماطت بحوثه اللثام عن صفحة جديدة في تاريخ ما قبل الأسرات في مصر. أما في الدلتا فقد قام «برشيا» العالم الأثري الإيطالي بحفائر في كوم القناطر، وهي أول محطة كشفت من هذا العصر، وقفَا أثره الأستاذ «ينكر» ببحوث في تل اليهودية بالدلتا أيضًا، وحديثًا كشف كل من الأستاذ مصطفى عامر والأستاذ «منجين» عن محطة هامة في العصر الأنيوليتي في المعادي بين القاهرة وحلوان.

أما الصحراء فإن الأبحاث لم تقم فيها على قدم وساق، كما كانت في الوادي نفسه، ومع ذلك فإن البعثات القليلة التي بحثت فيها قد أسفرت عن بعض نتائج، فالبعثة التي قام بها الأمير كمال الدين في الصحراء حتى «جبل عوينات» عثر فيها على محطات مما قبل الأسرات، وجدت فيها أسلحة وسكاكين عظيمة الحجم من الحجر النوبي، وبالقرب منها عثر على أرحاء وأجران مصنوعة من حجارة ضخمة، وذلك برهان جديد على أنه كان يوجد في هذه الجهات واحات، ولكنها طبعًا قد اختفت بجفاف العيون التي كانت تغذيها، ولا مراء في أنها كانت يانعة في هذا العصر، ومن المحتمل جدًّا أنها كانت لا تزال آهلة بالسكان في العهد الفرعوني.

وقد عثر حديثًا العالم «بوفييه لايبير» على جبانة من نوع خاص في صحراء العرب على مسافة قريبة من القاهرة تشبه في أوروبا ما يطلق عليه اسم دلمن Dolmens، وكل واحد من قبورها يتألف من حجر عظيم مستوي السطح موضوع على حجرين عموديين، وهو أول شيء من هذا النوع عثر عليه في مصر، وهذه المقابر قد أقيمت على حافة وادي التيه، ولما كان وجه الشبه بين هذه المقابر ومثيلاتها في أوروبا عظيمًا فقد نسبها الأب «بوفييه» إلى العصر الأنيوليتي، غير أنه يظن كذلك أنها قد تكون صنعت في عصر متأخر عن ذلك.

ولما كانت الكتابة منعدمة في العصر الأنيوليتي حتى ظهور الأسرة الأولى، كان من الصعب على المؤرخ أن يضع تواريخ مؤكدة للمدنيات المتتالية التي مرت فيها مصر في أقدم عهودها، لذلك يجب أن نكتفي الآن بأقل الفروض. إذ الواقع أن بداية هذه المدنية ترجع بنا إلى عهود يكاد مقدار ألف سنة فيها، لا يعد بالشيء الخارق للعادة من حيث الزمن، ومما يؤسف له أن نهاية هذا العصر الذي هو في الواقع بداية العصر التاريخي لم يتفق عليه بصفة قاطعة للآن بين علماء الآثار، بل الأمر تخطى ذلك في النزاع، حتى إن كل تأريخ قبل عام ١٥٨٠ق.م في التواريخ المصرية موضع شك، ولا أدل على ذلك من أن السير «فلندرز بتري» قدَّر عُمْر المدنية البدارية بنحو ١٠٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، على حين أن أثريين آخرين قدروا عمرها بنحو ٥٠٠٠ سنة. على أن مثل هذه التواريخ لا تخرج عن أنها محض تخمين، ولا ترتكز على أساس علمي ومع أنه كان من المتعذر وضع تاريخ مؤكد لبداية عصر ما قبل الأسرات أو نهايته، فإنه من الممكن أن يقتفي الإنسان تتابع الخطوات المختلفة التي حدثت في خلال هذا العصر، وهذا الإمكان قد نشأ نتيجة للبحوث التي قام بها المستر «فلندرز بتري» في «ديو سبوليس برفا»[١١] لتتابع تاريخي خاص في أنواع الفخار كشفت عنه حفائره، وذلك أنه لاحظ أن نوعًا خاصًّا من أواني الفخار كان يحدث فيه انحطاط منظم، وذلك أن البروز الذي كان في الأصل بمثابة يد الإناء، أخذ في التلاشي تدريجًا حتى أصبح لا يزيد عن خط متموج لا معنى له حول رقبة الإناء، وهذا الانحطاط في يد الإناء صحبه تدهور مشابه له في شكل الإناء العام، ولذلك كان من الممكن أن يضع الإنسان تتابع تاريخيًّا لكل الأواني التي من هذا النوع، وبالوصول لهذا الترتيب كان من السهل أن يجد الإنسان أدوات أخرى من نوع هذه الأواني قد تدرجت في التغير.

وقد اتخذ أساسًا للتغير في هذا النوع من الفخار فترات معينة تبتدئ برقم واحد وتنتهي برقم مائة، وقد ترك الفترة من رقم ١–٢٩ خالية لما عساه أن يكشف من فخار أقدم من الأنواع التي عثر عليها في قبور قديمة. أما الفترة بين ٣٠–١٠٠ فإنها تمثل ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات، وقد صار من الممكن إذن أن يضع الإنسان في الفترات المتتابعة مجموعة هذا النوع من الفخار حسب طبقته المختلفة في القدم، فإذا كشف قبر مما قبل الأسرات، ولم يكن من الممكن وضع تأريخ محدد له، فإن مكانته في التأريخ التتابعي يمكن الوصول إليها في الحال، وذلك بمقارنة الفخار الذي عثر عليه فيه بالطبقة المقابلة للفخار الذي اتخذ نوعه أساسًا.

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الرابعة

المملكة القديمة وعصر بناة الأهرام

دامت مدة المملكة القديمة نحو خمس قرون (٢٦٧٠-٢١٥٠ق.م)، وبدأت الدولة القديمة بالسلالة الثالثة أو الرابعة، وتنتهي بنهاية السلالة السادسة في عام ٢١٥٠ق.م، وسمي بعصر الأهرام لتميزه ببناء الأهرامات الكبيرة منذ عهد الملك زوسر أشهر ملوك السلالة الثالثة (٢٦٧٠-٢٦٠٠ق.م)، إذ دفن ملوك هذه الأسر، باستثناءات قليلة، في قبور شيد فوقها بناية شاقة هرمية الشكل عرفت باسم الأهرامات، أما باقي عصور مصر القديمة فقد دفن بعض ملوكها في قبور تعلوها أهرامات لكنها كانت صغير الحجم، أشبه بشواهد القبور، وليس لها تلك الميزات الخاصة بأهرام عصر المملكة القديمة لاسيما المغزى الديني، وفضلاً عن بناء الأهرامات العظيمة في هذا العصر، تطورت الحضارة المصرية تطوراً سريعاً، فزادت قوتها عن طريق الحكومة المركزية والإدارة الفاعلة والتقنية المتقدمة والكتابة الهيروغليفية المتطورة والفن الناهض.

يعد (زوسر) ويعني اسمه (المقدس) أول ملوك الأسرة الثالثة، واتسم عهده بالوحدة السياسية في مصر القديمة، ووصل (زوسر) الحكم عن طريق أمه، إذ أن (زوسر) هو ابن الملكة (تي ماعت حب) من زوجها ملك مصر السفلى الذي قتل خلال صراعه مع (خع سخموي) ملك مصر العليا، فتزوجها بعد ذلك (خع سخموي)، فأصبحت (تي ماعت حب) ملكة لمصر العليا والسفلى، فورث ابنها (زوسر) الحق الشرعي للجلوس على عرش الجنوب، وتأسيس أسرة ملكية جديدة، ومن ثمّ أصبح (زوسر) يحوي في شخصه الصفة الإلهية من طريق بنوته لملك الشمال، وبنوته للأم الملكة فاستطاع حكم مصر بعد الارتفاع بنفسه إلى مصاف الآلهة، وقد قام بتطوير المصطبة إلى الهرم المدرج الذي تطور في عهد الأسرة الرابعة إلى الهرم الصحيح.

أقام زوسر حكمه الذي استمر نحو ١٩ سنة أول الأمر في أبيدوس، ثم نقل عاصمته إلى منفس، وشهد عهده تقدماً في جميع المظاهر الدينية، وشهد عهده إرسال حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة سيناء ممن كانوا يتعرضون للحملات المصرية المرسلة لإحضار النحاس، أما آخر ملوك هذه الأسرة فهو (حوني) الذي يعني (الضارب)، وقد حكم حوالي أربعة وعشرين عاماً.

تبدأ السلالة الرابعة (٢٦٠٠-٢٤٥٠ق.م) بحكم الملك سنفرو (سنفرع)، وحكم لمدة أربعة وعشرين عاماً، وقد أرسل خلالها حملة على بلاد النوبة، فعادت له بغنائم كثيرة وسبعة ألاف أسير، وعدداً كبيراً من الماشية وترك في وادي المغارة بيتا، وثلاثة نقوش يظهر فيها وهو يقتل بدوياً إشارة إلى معركة جرت هناك، وأقام الحصون على الحدود الشرقية، لوقف تسرب البدو إلى الدلتا، وقام بحملة على ليبيا، وبنى المعابد والقلاع والمنازل التي كانت تستلزم القيام برحلات لإحضار خشب الأرز من سوريا، وعَدَّ المؤسس الأخير للنفوذ المصري في سيناء، وشهد عهده ارتباط حكام الأقاليم المصرية به مباشرةً ممن تولوا إدارة أقاليمهم بمساعدة موظفين للمالية والقضاء والإدارة يعينون مركزياً، ويعد سنفرو أول من استخدم (الخرطوش)، وهو عبارة عن ختم الملك المتضمن اسم الملك ولقبه منحوت نحتاً بارزاً على حجر مستطيل الشكل، يرجح أنه مأخوذ من شكل الختم الاسطواني، وبنى سنفرو هرمين في (سقارة) و(ميدوم) يرجح أنه دفن في أحدهما.

خوفو

يعد خوفو من أشهر ملوك مصر، وشهرته هذه جاءت من قيامه ببناء الهرم الأكبر في الجيزة، وخوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة، وقد تولى الحكم بعد وفاة والده سنفرو، ومع أن هيرودوت يذكر أن خوفو حكم ٦٣ سنة، إلا أنه وطبقاً لبردية (تورين) حكم نحو ٢٣ سنة تحت اسم (خنم خواف لي) أي (المعبود خنوم الذي يحميني)، وهو من قرية (منعت خوفو) أي (مرضعة خوفو) وهي بلدة بني حسن حالياً، وقد تزوج (خوفو) أخته (مرى تيتس)، واستفاد من خبرة رجال أبيه وجهوده، فتوفر له من سعة السلطان أكثر مما توفر لأبيه، إذ توفرت لمصر إمكانات مادية وبشرية كبيرة في عهده، ومن ابرز المشاكل التي ظهرت في عهد خوفو تلك التي نجمت عن تعدد زوجاته، إذ أنجبت كلٌ منهن أولاد عدة، لذا ظهر النزاع بينهم، تساندهم فيه أمهاتهم وبعض رجال البلاط لتولي العرش، وقد أرسل خوفو البعثات إلى وادي المغارة لإحضار الفيروز، حيث وجد اسمه وصورة تمثله وهو يهوي على رأس شخص بدبوس قتال، وله تمثال وحيد طوله خمسة سنتيمترات عثر عليه في أبيدوس من العاج، ونقش اسمه على كرسي العرش، وخلفه في الحكم ابنه خفرع الذي يعد أول من أطلق على نفسه ابن الإله رع، واستمر في إرسال الحملات الحربية إلى سيناء وهذا ما لم يتم في عهد خلفائه، وبنى ثاني الهرمين الكبيرين في الجيزة، ويعطي هيرودوت مدة حكم هذا الملك بنحو ٥٦ سنة، خلفه منكورع الذي حكم زهاء ٢٠ سنة، وقد بنى هذا الملك الهرم الثالث في الجيزة، ويعد الملك شيبسيسكاف آخر ملوك الأسرة الرابعة، وفي عهد هذا الملك بدأت عبادة الإله (رع) إله الشمس على حساب عبادة الملك، وحكم هذا الملك أربع سنوات، شهدت بسعيه إلى وضع حد لسلطة ونفوذ الكهنة المتعاظمين، فترك بناء قبره على شكل هرم لصلة ذلك بعبادة الشمس، وبنى له قبراً على شكل تابوت كبير يعرف بمصطبة فرعون في سقارة، إلاّ أن عمر شيبسيسكاف لم يطل

ليكمل ثورته المناوئة لكهنة الإله (رع)، فعاد النزاع داخل البيت المالك، ويبدو أن ثورة شيبسيسكاف على كهنة الإله (رع) قد عجلت بنهاية الأسرة الرابعة التي تطاحن أفرادها فيما بينهم منذ وفاة خوفو.

وفي هذا الوقت الحرج من تاريخ مصر القديمة تزوجت الملكة (خنت كاواس) من أحد النبلاء على ما يظهر، فأنجبت منه (اوسركاف) الذي أسس أسرة جديدة عرفت بالأسرة الخامسة (٢٤٥٠-٢٣٤٥ق.م)، ويرجح انه وصل العرش نتيجة لحركة قام بها، وأنه كان الكاهن الأعلى للإله (رع)، ودام حكم (أوسركاف) نحو ثماني سنوات، أما آخر ملوك الأسرة الخامسة فهو (أوناس) الذي يعد أحسن ملوك هذه الأسرة وأعظمهم شهرة، وامتد حكمه نحو ثلاثين عاماً، إلاَّ أنَّ سلطان حكام الأقاليم أخذ بالتزايد بعد وفاته وشرعوا بتوريث مناصبهم لأولادهم وأخذوا يحملون أَلقاباً كـ(القائد العظيم) أو (السيد العظيم للمقاطعة)، وخضع أَولادهم اسمياً للسلطة المركزية، لأنهم كانوا فعلياً مستقلين بإداراتهم.

توفى الملك (أوناس) دون أن يترك له وريثاً، فتأسست أسرة جديدة عرفت بالأسرة السادسة (٢٣٤٥-٢١٥٠ق.م) على يد (تتي سحتب تاوى)، وحمل (تتي) لقب (سارع) الذي تلقب به (أوناس) من قبل، وقد توجه وملوك أسرته من بعده إلى عبادة الإله (بتاح).

ويعد (بيبي مري رع) أو (بيبي الأول) أشهر ملوك هذه الأسرة، إذ ارتقت في عهده الفنون وعادت مصر إلى صلاتها مع جيرانها بعد أن قبض على زمام الأمور بكل حزم ونشاط، وشهد عهده إرساله لحملات برية وبحرية للدفاع عن مصالح مصر لاسيّما بعد تعرض الحدود الشرقية للانتهاكات والنهب، ثم جاء بعد (ببى الأول) اكبر أولاده (مري ان رع) الذي حكم لمدة قاربت عشر سنوات، شهدت ثلاث رحلات تجارية مهمة إلى الجنوب إلاّ انه توفي وهو شاب، فخلفه أخوه بيبي الثاني (نفير كا رع) آخر ملوك الأسرة السادسة وكان من أعظم ملوك المملكة القديمة، وحكم مدة طويلة تصل إلى نحو ٩٠ سنة حسب رواية هيرودوت، إذ أصبح ملكاً وهو بعمر ٦ سنوات، وعاش ما يقارب القرن من الزمن، وهي أطول مدة حكمها أي ملك في مصر امتلأت بالبعثات إلى البلاد الأجنبية، إلاّ انه ضعف بعد أن طال به العمر فيما كان يحيط به حكام من الشباب الطامحين للاستيلاء على العرش، وبممات (ببي الثاني) في عام ٢١٥٠ق.م تنتهي مدة حكم الأسرة السادسة لينتهي معها عهد الدولة القديمة.

أما سبب سقوط المملكة القديمة فيرجع إلى سيطرة وسطوة كهنة الإله (رع) على حساب سلطات الملك، فضلاً عن ضعف اقتصاد المملكة بسبب تبديد أموال الدولة وجهود العمال والفنيين في بناء الأهرامات الكبيرة، فاستنزفت موارد وخزينة الدولة في مشاريع غير منتجة، فضلاً عن انخفاض مناسيب مياه نهر النيل لسنوات متتالية، الأمر الذي أدى إلى انعدام فيضانات نهر النيل المعهودة، فأهملت الزراعة وحدثت المجاعات، وتحولت الحكومة من السلطة المركزية إلى السلطة اللامركزية،

فقد ازداد نفوذ حكام الأقاليم الذين أصبح كل منهم أميراً حاكماً في مقاطعته لا يكاد يربطه بالعرش إلاّ الارتباط الشكلي، وتفككت عرى السلطة المركزية، فزادت أعباء الحكومة ومشاكلها، وتعطلت مشروعاتها العامة، وفيما تكدست الأموال لدى الموظفين، زادت أعباء ومظالم الفلاحين ونشبت ثورة عاتية في البلاد على العرش والحكام والكهنة، وهكذا عمت الفوضى، فضلاً عن تناقص موارد التجارة الخارجية، وبذلك تبدلت علاقة النبلاء مع الفرعون، الأمر الذي دفع بعض النبلاء الذين تضررت مصالحهم الاقتصادية إلى الاستقلال الذاتي، فانتشرت العصابات في البلاد، وأضرب الناس عن دفع الضرائب وتوقفت التجارة ونهب الناس مخازن الحكومة وتم الاعتداء على مقابر الملوك ونهبها، وجرت عمليات انتقام من الأغنياء ونهب قصورهم أو إحراقها، ثم انهارت الحكومة المركزية بما سمح لعصابات البدو بمهاجمة المناطق الحدودية للبلاد ونهبها، لتدخل مصر فيما يعرف بالفترة المظلمة الأولى أو عصر الحقبة الأولى (٢١٥٠-٢٠٤٠ق.م)، الذي وصل فيه التدهور السياسي إلى درجة أن سبعين ملكاً حكموا مصر خلال سبعين يوماً.

المادة المعروضة اعلاه هي مدخل الى المحاضرة المرفوعة بواسطة استاذ(ة) المادة . وقد تبدو لك غير متكاملة . حيث يضع استاذ المادة في بعض الاحيان فقط الجزء الاول من المحاضرة من اجل الاطلاع على ما ستقوم بتحميله لاحقا . في نظام التعليم الالكتروني نوفر هذه الخدمة لكي نبقيك على اطلاع حول محتوى الملف الذي ستقوم بتحميله .

زوسر :- وهو مؤسس السلالة الثالثة ذكر اسمه في بردية تورينو باللون الاحمر تمييزاً له عن باقي ملوك الدولة القديمة ويعتبر الهرم المدرج الذي أمر زوسر ببنائه اول بناء حجري ضخم عرفه التاريخ يبلغ ارتفاعه (٦٠م) يعرف بمصطبة صقارة وكان زوسر رجل علم وبناء ومحب للادب وقد برزت شهرته بحيث ان المصريين القدماء عبدوه وألهوه ، ومعنى زوسر (جسد المعبود) واتخذ لقب (جيسر) والتي تعني (المقدس) قام باعمال أنشائية ضخمة ويعتبر زوسر اول فرعون يرسل حملات إلى سيناء لاستخراج النحاس والفيروز وخلال فترة حكمه حظيت عبادة الشمس باهتمام كبير

هرم زوسر :- وهو الهرم الذي يسمى ايضاً بالهرم المدرج او هرم صقارة وهو من المعالم الآثارية المشهورة في صقارة شمال غرب مدينة منفس بني لدفن الفرعون زوسر بناه له وزيره (امنحوتب)

وهو يتكون من ست مصاطب بنيت بعضها فوق بعض وهو يعتبر تطوراً هائلاً في تصميم القبور في ذلك العهد الذي كان يكتفي بمصطبة واحدة يبلغ ارتفاعها (٦٠م) وهو مغطى بالحجر الجيري الابيض المصقول ، تأثر الهرم بزلزال وقع عام ١٩٩٢م وأثر على بنية الهرم وأدى إلى سقوط أجزاء منه وهو يعتبر اقدم هرم بالتاريخ

سنفرو :- وهو مؤسس السلالة الرابعة في عصر الدولة القديمة تختلف تقديرات حكمه بين ٢٤سنة و٤٨سنة تميز عهده بالتوسع في التجارة الخارجية وارسال الحملات التأديبية وحملات التعدين وقد زودنا حجر بالرمو بالعديد من اخباره منها أنه قام عدداً كبيراً من القصور والمعابد واهتم بتأمين الحدود ليعيد الأمن والطمأنينة إلى حدود مصر الجنوبية ومن اعماله ايضاً ارسل اسطولاً ضخماً إلى فينيقيا لاستيراد خشب الأرز النادر لعدم وجود الاخشاب الجيدة في مصر تصلح لإنشاءات الكبيرة في الاهرامات والمعابد قام ببناء ثلاث اهرامات باقية ليومنا هذا الهرم الاول وهو ميدوم الذي يعتبر مرحلة انتقالية بين المدرج والهرم الحقيقي ثم هرمين بدهشور وهما الهرم الاحمر والهرم المائل ، كما أنه اهتم باستخراج النحاس والفيروز من سيناء ، تميزت فترة حكمه بالاستقرار والعدالة

خوفو :- وهو ثاني ملوك الاسرة الرابعة الذي خلف الفرعون سنفرو على العرش والمرجح أنه أبيه وأمه الملكة (حتب حيرس) وهو من أعاظم فراعنة مصر القديمة حكم مصر ما يقارب ٦٣ سنة كما يذكر هيرودوتس وكان محارباً شهيراً حيث تدل على ذلك النصب المنحوتة في صحراء سيناء والتي تمثل مشاهد حربية ولقد خلد شهرته في الهرم الكبير بالجيزة ليكون قبراً له وهو احد عجائب الدنيا السبع كما ارسل خوفو البعثات إلى وادي المغارة بسيناء لاحضار الفيروز

هرم خوفو :- وهو أعلى هرم في العالم وقد بناه الفرعون خوفو وقد سمي خوفو هرمه(أخت خوفو) بمعنى(افق خوفو) ويعتبر الهرم الاكبر احد عجائب الدنيا السبع في العالم القديم يبلغ طول جانب الهرم الاكبر ٢٣٠م ويبلغ ارتفاعه ١٤٧م ولكن عملت عوامل التعرية وسقطت قمته فأصبح أرتفاعه حاليا ١٣٦م استخدم في بنائه ما يقارب من مليوني ونصف حجر يزن كل منها نحو ٢طن ويوجد في الناحية الشمالية المدخل الاساسي للهرم ويوجد بالهرم الاكبر ثلاث حجرات الحجرة الاولى تحت الهرم مبنية في الارض الصخرية والحجرة الثانية تسمى (بغرفة الملكات) وهي عالية في قلب الهرم والحجرة الثالثة يوجد فيها تابوت خوفو وهي تعلو حجرة الملكات ويوجد بين الغرفتين

ما يسمى (بالدهليز الكبير) لم يتم العثور على مومياء خوفو في الهرم ولا ادواته ولا اثاثه وربما تعرض الهرم للسرقة خلال العهود الفرعونية ويوجد في الناحية الشرقية للهرم ثلاث اهرمات صغيرة للملكات زوجات خوفو وهناك هرم رابع للطقوس الدينية ويوجد ايضاً مصطبات كبيرة فيها أقرباء خوفو وهناك مصطبات في الناحية الغربية دفن فيها الموظفين الكبار في الدولة ويذكر هيرودوتس ان بناء الهرم استغرق عشرين سنة عمل فيه مائة الف عامل

جدف رع :- وهو ابن الفرعون خوفو وتعني كلمة جدف رع (الثابت) وبعض المؤلفين يكتبوه رع جدف ولم يكن هو المرشح الاول لتولي حكم مصر بعد ابيه خوفو وانما هناك اخاً له اغتيل في ظروف غامضة ويعتقد أنه اغتيل في مؤامرة مدبرة تزوج جدف رع من ارملة اخيه المقتول ويعتقد علماء الاثار انه اول من اضاف الى القابه الملكية لقب (رع)

خفرع :- وهو ثالث فرعون من فراعنة الاسرة الرابعة بالدولة القديمة وهو لم يخلف والده خوفو بل حكم بعده بثمان سنوات وذلك لحكم اخيه (جدف رع) وهو من الملوك المشهورين وشهرة خفرع اتته من كونه باني ثاني هرم ضخم في الجيزة وهو يشابه هرم والده خوفو في عظمته وترجع إلى عهد هذا الملك أقدم الاشارات إلى لقب الفرعون (البيت العظيم) على الرغم من أنه لم يستعمل لقباً رسمياً للملوك إلا في عهد الاسرة الثامنة عشر وفي عهد هذا الفرعون بلغ فن النحت ذروته خصوصاً في التماثيل والقطع الفنية المختلفة والتي تزين متاحف العالم في الوقت الحاضر خصوصاً تمثال أبو الهول الذي يدل على عظمة الفرعون خفرع

هرم خفرع :- وهو احد اهرامات الجيزة في مصر وهو ثاني أكبر هرم بناه الملك خفرع رابع ملوك السلالة الرابعة وهو أقل أرتفاعاً من هرم أبيه خوفو شيد فوق مساحة ٢١٥م وله مدخلان عثر في داخله على مجموعة تماثيل وهي موجودة حالياً بالمتحف المصري وهو يقع جنوب غرب هرم ابيه خوفو ويبلغ ارتفاعه ١٤٣م وطول ضلعه٢١٥م

ابو الهول : - وهو تمثال لمخلوق اسطوري بجسم اسد ورأس انسان وهو منحوت من الحجر الكلسي وهو مغطى بطبقة من الجص الملون ،ويقع تمثال ابو الهول على هضبة الجيزة على الضفة الغربية من النيل وهو من اقدم المنحوتات الضخمة المعروفة يبلغ طوله حوالي٧٣،٥ م من ضمنها ١٥ م طول رجليه الاماميتين وعرضه ١٩ م واعلى ارتفاع له عن سطح الارض ٢٠ م بناه

المصريون القدماء زمن الملك خفرع وسبب استخدم جسم الاسد ورأس الانسان ((أنه يمثل الملك خفرع الذي يجمع بين قوة الاسد وحكمة الانسان)) ويقال أنه يمثل أله الشمس واصبح شكل ابو الهول ملهماً للفنانين القدامى والجدد لذلك نجد العديد من اشكال ابو الهول في اوربا خصوصاً ايطاليا وفرنسا وحتى في مصر نفسها صنعت العديد من التماثيل الصغيرة التي تاخذ نفس شكل ابو الهول

منكورع :- وهو خامس فرعون مصري من الاسرة الرابعة خلال عصر الدولة القديمة ويطلق عليه احياناً (منقورع) وهو ابن الملك خفرع وكلمة منكورع تعني (طويل العمر بقوة الاله رع) حكم ما يقارب من ٢٠ سنة اشتهر هذا الفرعون بكونه باني الهرم الثالث بالجيزة وهو بجوار هرم جده وابيه وكان عهده اكثر حرية من عهد ابيه وجده حيث مارس الشعب الشعائر الدينية بحرية تامة لم يعهدها من قبل

هرم منكورع :- وهو الهرم الثالث في الجيزة بناه الملك منكورع يبلغ ارتفاعه ٢١٥قدم وهو اصغر كثيراً عن هرمي خوفو وخفرع ويعتبر الحجر الجيري المادة الاساسية في بناءه وتم تغطية الهرم باحجار الكرانيت وتوجد ثلاث اهرامات تابعة لهرم منكورع ومن المرجح ان تكون هذه الاهرامات خاصة بزوجات منكورع

شبس كاف :- وهو ابن منكورع من زوجة ثانوية حكم اربعة سنوات وقد خالف شبس كاف تقاليد اباؤه واجداده في تشييد الاهرامات فقد شيد له قبراً بسيطاً في جنوب صقارة بطابقين يدعى باسم (مصطبة الفرعون) وفي نهاية عهده بدأت تظهر عبادة الاله (رع) ونتيجة لازدياد نفوذ الكهنة انتقل شبس كاف من عاصمته الى مدينة صقارة

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الخامسة

عصر الاضمحلال والفوضى الاول

كان فترة تدهور وضعف، حيث انهار نظام الحكم المركزي. وتسمى كل من استطاع باسم فرعون سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

يطلق مصطلح عصر الاضمحلال الأول في التاريخ المصري القديم على الفترة من نهاية الأسرة السادسة وانهيار السلطة الملكية المركزية. حتى إعادة توحيد البلاد على يد الأسرة الحادية عشرة..وقد حكم البلاد محتلين أجانب بدو شاسو قادمين من الشرق

تدعي إحدى النظريات أن انخفاضا في درجة حرارة الكوكب قد أدى إلى انخفاض مخيف في مستوى الأمطار الموسمية.. وبالتالي إلى انخفاض مستوى فيضان النيل.. وأن ذلك الانخفاض في مستوى الفيضان قد تتابع لعقدين أو ثلاثة في أواخر حكم بيبي الثاني.. منذ نحو ٢٢٠٠ سنة قبل الميلاد.. ويظهر ذلك في انخفاض مستوى المياه في بحيرة منخفض الفيوم انخفاضا ملحوظا.. مما أدى إلى مجاعة هائلة.. ولعل المثل المصري القديم عن انخفاض مستوى النهر حتى لتعبره على الأقدام دليل على تلك المأساة..

و لما كان هذا الانخفاض في مستوى الأمطار عالميا فإنه لم يكن يشمل شرق أفريقيا فحسب.. بل امتد إلى الشرق الأوسط.. مما أدى إلى نزوح جماعات هائلة من سكان شرقي النيل وغربه إلي وادي النيل التماسا للغذاء..

و تفصيل ذلك أن البدو رغم الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم في عهد بيبي الأول لم يفقدوا الأمل في غزو مصر التي كانت في تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى.. وقد سنحت لهم الفرصة في عهد بيبي الثاني لنيل مآربهم إذ كانت الأحوال مهيئة لذلك فقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثيين في الوجه القبلي منهمكا في المحافظة على مقاطعته التي تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة ضد المجاعة.. أما في الوجه البحري فيحتمل أن القوم كانوا ملتفين حول الملك.. حيث مقر حكمه.. غير أنه ليس لدينا من الوثائق التاريخية ما يحدد لنا الموقف بالضبط.. لكن على أية حال كان موقف الحكومة المصرية في هذا العهد في حالة يرثى لها..

و كانت الضرائب في مصر تحدد سنويا على أساس مستوى الفيضان.. على أساس مقدار ما يمكن للفلاح زراعته لا على ما يزرعه فعلا.. وربما كان ارتفاع الضرائب في ظل انخفاض المحاصيل هو الشرارة الأولى التي أدت إلى أول ثورة اجتماعية سجلها التاريخ..

و قد كان من جراء امتداد الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر القحط.. وعم الانحلال الخلقي وعدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة.. وليس لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم إلا معلومات ضئيلة جدا.. لكن من جهة أخرى قد اسعفتنا الوثائق الأدبية الشعبية مما يمكن أن نسميه مراثي الدولة القديمة.. وترجع معظمها إلى أوائل الدولة الوسطى.. والواقع أن أزمة هذا العصر قد طال أمدها فأثرت على أذهان القوم.. وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القصاصين.. فنراهم يصورون ما حاق بالبلاد من ضعف وشدة وما قاست من ويلات وخراب بعبارات مؤثرة قوية خارجة من الأعماق.. بينما يشير بعضها الآخر إلى غزو الساميين حاملي السهام..

..

و العهد الذي حدث فيه هذا الانحلال لابد وأن يكون في نهاية الدولة القديمة.. وذلك أنه أنه في ختام الأسرة السادسة اختفت مصر عن الأعين فجأة وصارت في ظلمة كأن مصيبة عظمى قد نزلت بها.. وأن ما ذكر هنا من أن الملك الذي كان يخاطبه الحكيم كان مسنا ليتفق تماما مع الحقائق التاريخية.. لأن الملك الذي اختفت معه الدولة القديمة لابد وأن يكون بيبي الثاني الذي جلس على العرش في السنة السادسة من عمره.. وحكم أربعة وتسعين عاما.. كما نقل المصريين أنفسهم..

يبتدئ المتن بوصف البؤس العام الذي حل بالبلاد من سرقة وقتل وتخريب وقحط.. وتفكك الإدارة والقضاء على التجارة الخارجية.. وغزو الأجانب وتولية الغوغاء مراكز الطبقات العليا.. فيذكر الحكيم أن أهل الصحراء قد حلوا مكان المصريين في كل مكان وأصبحت البلاد ملآي بالعصابات.. حتى أن الرجل كان يذهب ليحرث أرضه ومعه درعه.. وشحبت الوجوه وكثر عدد المجرمين ولم يعد هناك رجال محترمون.. وفقد الناس الثقة في الأمن.. وعلى الرغم من فيضان النيل فقد أحجم الفلاحون عن الذهاب لفلاحة أرضهم خشية اللصوص وقطاع الطرق.. وصارت النساء عواقر ولم يعد هناك حمل.. بسبب إعراض خنوم عن هذا العمل غير المجدي..

و أصبح المعوزين يمتلكون أشياء جميلة.. بينما نجد الأشراف في حزن لا يشاطرون أهليهم أفراحهم.. ثم إن القلوب صارت ثائرة والوباء انبعث في كل الأرض.. والدم أريق في كل مكان.. وكثر عدد الموتى حتى أصبحت جثثهم من الكثرة بحيث استحال دفنها.. ولذلك فإنها ألقيت في الماء كالماشية الميتة.. وأصبح أصحاب الأصل الرفيع مفعمين بالحزن بينما امتلأ الفقراء سرورا.. وكل بلدة تنادي قائلة.. فليقص أصحاب الجاه عنا.. وصارت الأرض تدور كعجلة الفخاري.. فأصبح اللص صاحب ثروة.. وتحول النهر إلى دماء عافتها النفوس.. ودمرت البلاد وصار الوجه القبلي صحراء جرداء.. وأصبحت التماسيح في تخمة بما قد سلبت.. وانتشر حفارو القبور في كل مكان بسبب كثرة الموتى.. وخربت البيوت.. وأصبح المصريون لا يرون الآن..

و صار الذهب واللازورد والفضة والياقوت تحلي جيد الجواري بينما تمشي السيدات النبيلات في طول البلاد يقلن : ليت لدينا بعض الشيء لنأكل.. وصارت أعضاؤهن في حالة يرثى لها لما عليها من خرق بالية وقلوبهن تنفطر حزنا عندما يشاهدون أنفسهن على حالتهن هذه..

و أصبح مهندسو السفن الملكية يشتغلون عمالا عاديين.. ولم يعد الناس يذهبون إلى ببلوص.. جبيل لبنان.. لإحضار خشب الأرز لأجل المومياوات وأصبحت المدن لا تؤدي الضرائب بسبب القلائل وأصبحت الخزينة من غير دخل..

و قضي على الضحك فلم يعد يسمع.. بينما أخذ الحزن يمشي في طول البلاد وعرضها ممزوجا بالأسى.. وكره الناس الحياة حتى أصبح كل واحد منهم يقول : ياليتني مت قبل هذا.. والأطفال الصغار يقولون : كان يجب عليه ألا يجعلنا على قيد الحياة.. وأولاد الأمراء يضرب بهم عرض الحائط.. والأطفال حديثو الولادة يلقون على قارعة الطريق..

و انتزعت مومياوات علية القوم من مقابرهم وألقيت في الطريق العام.. وأصبح سر التحنيط جهرا.. وألقي المواطنين على أحجار الطواحين.. وأصبح الذين كانوا يرتدون الكتان الجميل يجلدون.. واضطرت سيدات الطبقة الراقية اللائي كن يسكن في البيوت إلى العمل الشاق في حرارة الشمس.. وأصبحت اللائي كن على أسرة أزواجهن ينمن على مضاجع مقضة.. وصارت السيدات مثل الجواري.. وتحولت أغاني العازفين أناشيد حزن..

و أصبح الرجل الأحمق يشك في وجود الإله فيقول : إن عرفت أين يوجد الإله قدمت له قربانا.. وأصبحت الماشية والقطعان تندب بسبب حالة البلاد.. والرجل يقتل أخاه من أمه.. والطرق شائكة فاللصوص يكمنون في الحشائش حتى يأتي المسافر في ظلام الليل ليسلبوا منه حمله ويسرقوا ما عليه ثم يضربونه بالعصى حتى يقطع نفسه ثم يذبح ظلما..

و قد انمحى ما كان يشاهد بالأمس واتلفت المحاصيل وأصبح القوم يأكلون الحشائش.. ولم عد هناك فاكهة ولا أعشاب تقدم للطيور.. وقد أصبحت القاذورات تختطف من أفواه الخنازير بسبب الجوع.. وانعدمت الغلال.. وجرد القوم من الملابس والعطر والزيت وصارت المخازن خاوية..

و سلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة.. وأذيعت التعاويذ السحرية التي كانت ملكا للحكومة.. ونهبت الإدارات العامة.. ومزقت قوائمها.. وذبح الموظفون وصار القوم يطأون بأقدامهم قوانين قاعة المحاكمة.. والفقراء يروحون ويجيئون في البيوت العظيمة.. المحاكم العليا القديمة.. دون خوف أو وجل..

بعد ذلك يأخذ الحكيم في وصف مصائب حلت بالبلاد تفوق بمراحل تلك التي سبق أن شكا منها.. إذ تنهار الملكية وينتصر العامة.. وهنا يظهر ثانية كيف أن الأغنياء قد صاروا فقراء بينما أصبح الغوغاء أثرياء فيقول:

انظر.. فقد حدثت أشياء لم تحدث فيما مضى.. إذ اغتصب الفقراء القبر الملكي.. وأصبح الملك الذي دفن كصقر يرقد على نعش.. وآل الأمر إلى أن حرمت البلاد الملكية بسبب بعض القوم الذين لا شعور لهم.. وأظهر الناس العداء للملك الذي جعل الأرضين في سلام.. وأفشيت الأسرار الملكية وصار مقر الملك رأسا على عقب.. وامتلأت الأرض بالعصابات واغتصب الجبناء

الرجال الشجعان.. وأصبح من لم يكن في مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتا يملك قبرا قد اغتصبه لنفسه.. وألقي بأرباب المكان الطاهر.. على قارعة الطريق.. وحدث أن الذي لم يكن يستطيع أن يقيم لنفسه حجرة أن ملك فناء مسورا.. وطرد حكام البلاد وأصبحوا ينامون في المخازن.. واضطرت السيدات الكريمات إلى الرقاد على الفراش الخشن.. وأصبح الرجل الميسور ينام ظمآنا.. وذلك الذي كان يستجدي العقار صار يملك الجعة المسكرة.. والذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا في خرق بالية.. وذلك الذي لا ينسج لنفسه أصبح يمتلك الكتان الجميل.. ومن لم يبن لنفسه قاربا أصبح الآن صاحب سفن.. ومن لم يكن له ما يظله أصبح يملك الأفياء..

و هؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعازع العواصف.. وأصبح من كان يجهل الضرب على العود يملك قيثارا.. وذلك الذي لم يكن يغني له أحد أصبح الآن مثني عليه من معبودة الموسيقى.. وأصبح من كان ينام أعزبا بسبب الحاجة يجد الآن سيدات نبيلات.. ومن كان لا يملك شيئا صاحب ثروة.. ويمتدحه الأمير تملقا.. ومن كانت لا تملك صندوقا صارت صاحبة صوان.. ومن كانت تشاهد وجهها في الماء صاحبة مرآة.. وأصبح القصابون يغشون المعبودات فيقدمون لها ذبيحة من الأوز بدلا من الثيران.. ولم يعد هناك موظف في موضعه اللائق به.. وأصبح الناس كالقطيع المذعور منغير راع.. أما الماشية فهي تجول ولا أحد يعنى بها.. وكل إنسان يأخذ لنفسه ما يريد منها.. وأصبح الرجل يذبح أخوه بجواره فيتركه في الضيق لينجو بنفسه.. ولم يعد هناك صانع يعمل إذ أن العدو قد حرم البلاد حرفها..

ثم يأخذ الحكيم في حث المخلصين للعرش على مقاومة أعداء الجالس عليه فيأمرهم بتدمير خصوم المقر الملكي.. صاحب الموظفين المتفوقين والقوانين العدّة..

..و نخلص من هذا المتن أن المجاعة قد حدثت.. تلتها ثورة اجتماعية.. واكبها غزو أجنبي أطاح بالدولة من أساسها..

و إذن الأغلب أن الساميين من سوريا قد غزوا البلاد.. ولابد أن ذلك الغزو قد بدأ من شرق الدلتا.. ولعله أمتد حتى شمل أجزاء من الوجه القبلي كما يظن الأستاذ بتري.. ولعل بعضهم قد تسمى فرعونا على نحو ما نرى من الأسماء السامية في ملوك الأسرة السابعة.. ولعل الأسرة السابعة المنفية نفسها هي بقية الأسرة السادسة التي حكمت من نفس المكان وقد أظهرت الاعتراف بسيادة الساميين في الدلتا عليها لفترة ما.. يدل على ذلك تذبذب الأسماء فيها بين المصرية والسامية.. لكن ذلك كله محض رجم بالغيب.. والعلم عند علام الغيوب..

و لعل في ظهور الأزرار التي كانت تتخذ منذ نهاية الأسرة السادسة ثم اختفت في الأسرتين التاسعة والعاشرة.. دليل على انعدام الصلة السياسية لا العرقية بين الساميين والليبيين..

و الظاهر أنه كان من جراء الحركة التي قام بها حكام المقاطعات للمحافظة على مقاطعاتهم من المجاعة منذ الأسرة السادسة.. أن انفصل الأمراء المحليين بما تحت أيديهم من مقاطعات.. ثم ما يستتبع ذلك من معارك محلية نستمع إلى صداها في تحذيرات إيبور ونقوش مقبرة حاكم إدفو عن معركة بين فقط وطيبة من ناحية.. وإدفو وألفنتين وهيراكو بوليس من ناحية أخرى.. ولعل في ذكرى هذه المعركة الغامضة ما يشير إلى وجود أمثالها مما لم يصل إلينا نبأه..

و يبدو أن حاكم مقاطعة قفط آنس من نفسه القوة فضم إلى مقاطعته المقاطعات السبع العليا من الوجه القبلي.. وأسس مملكة مستقلة تحت سلطانه عن أسرة منف.. والمرجح أن هذه الأسرة قفطية قد مكثت نحو أربعين سنة..

و نجد في قائمة العرابة المدفونة أسماء ١٧ ملكا حكموا زمنا في عهد هذه الأسرة.. وفي قائمة تورين ثمانية ملوك فقط.. أما مانيتون فيذكر أن عدد ملوكها ثمانية عشر ملكا دون ذكر أسمائهم.. على حين أن قائمة سقارة لم يرد فيها ذكر فرعون بعد بيبي الثاني إلى أوائل الأسرة الحادية عشرة.. أي أنها أهملت الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة..

أما الآثار فلم تكشف ما يشفي الغلة.. حقا أنه يوجد في سقارة بعض أهرام لابد أنها أقيمت بعد عهد بيبي الثاني.. غير أن اسم ملك ما لم يتحقق من بينها..

و إذا حكمنا من خلال الأسماء التي ذكرتها قائمة العرابة المدفونة فنجد نفر كا رع.. وددف رع.. ونفر إر كا رع.. وغيرها من الأسماء المصرية الصميمة مما يرجح أن سيادة الساميين لم تصل قط إلى ذلك العمق..

و قد كانت نقطة ضعف ملوكها أن غمروا وزرائهم الذين كانوا ينتخبون من أسرة خاصة بسلطة واسعة.. حتى أنهم كانوا في الواقع هم المسيطرون الحقيقيون على شئون المملكة..

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : السادسة

المملكة المصرية الوسطى

(المعروفة أيضًا باسم **فترة إعادة التوحيد)** هي الفترة في تاريخ مصر القديمة التي تلت فترة الانقسام السياسي المعروفة باسم الفترة الانتقالية الأولى. استمرت المملكة الوسطى من حوالي ٢٠٥٠ إلى ١٧١٠ قبل الميلاد، وتمتد من إعادة توحيد مصر في عهد منتوحتب الثاني من الأسرة الحادية عشر حتى نهاية الأسرة الثانية عشر. حكم ملوك الأسرة الحادية عشر من طيبة بينما حكم ملوك الأسرة الثانية عشرة من اللشت.

صاغ عالم المصريات الألماني فون بونسن مفهوم "المملكة الوسطى" كواحد من "العصور الذهبية" الثلاثة عام ١٨٤٥، وتطور تعريفه بشكل كبير طوال القرنين التاسع عشر والعشرينيدرج بعض العلماء أيضًا الأسرة الثالثة عشر بالكامل في هذه الفترة، وفي هذه الحالة تكون المملكة الوسطى قد استمرت حتى حوالي عام ١٦٥٠ قبل الميلاد، في حين أن البعض الآخر يجعلها فقط حتى مرنفر رع اي حوالي عام ١٧٠٠ قبل الميلاد، وهو آخر ملك من المملكة الوسطى يوجد على حكمه أدلة في كل من مصر العليا وأعقب المملكة الوسطى الفترة الانتقالية الثانية، وهي فترة انقسام أخرى تضمنت غزوات أجنبية للبلاد من قبل هكسوس غرب آسيا.

التاريخ السياسي

بعد انهيار المملكة القديمة، دخلت مصر فترة من ضعف السلطة الملكية واللامركزية تسمى الفترة الانتقالية الأولى في نهاية هذه الفترة، قاتلت أسرتان متنافستان، عرفتا في علم المصريات باسم العاشرة والحادية عشر، للسيطرة على البلاد بأكملها. حكمت الأسرة الطيبية الحادية عشرة جنوب مصر فقط من الشلال الأول إلى المقاطعة العاشرة من صعيد مصر. بينما في الشمال، حُكِمت مصر السفلى من قبل الأسرة العاشرة المنافسة من إهناسياتمكن منتوحتب الثاني من إنهاء الحرب، بعد أن اعتلى عرش طيبة عام ٢٠٥٥ قبل الميلاد. خلال السنة الرابعة عشرة من حكمه، استغل حدوث ثورة في أحد المقاطعات الشمالية لشن هجوم على إهناسيا، ولم يواجه سوى مقاومة قليلة. بعد إسقاط آخر حكام الأسرة العاشرة، بدأ منتوحتب في تعزيز سلطته على كل مصر، وهي العملية

التي لم تنته سوى في العام التاسع والثلاثين من حكمه. لهذا السبب، يعتبر منتوحتب الثاني مؤسس الدولة الوسطى.

قاد منتوحتب الثاني حملات صغيرة جنوبًا حتى الشلال الثاني في النوبة، والتي كانت قد نالت استقلالها خلال الفترة الانتقالية الأولى. كما أعاد الهيمنة المصرية على منطقة سيناء، التي فقدتها مصر منذ نهاية المملكة القديمة. لتعزيز سلطته، أعاد ممارسة عبادة الحاكم، مصورًا نفسه كإله أثناء حكمه، مرتديًا أغطية رأس آمون ومين. توفي بعد حكم دام ٥١ عامًا، وسلم العرش لابنه منتوحتب الثالث.

حكم منتوحتب الثالث لمدة اثني عشر عامًا فقط، واصل خلالها تعزيز الحكم الطيبي في جميع أنحاء مصر، وبناء سلسلة من الحصون في منطقة شرق الدلتا لتأمين مصر ضد التهديدات من آسيا كما أرسل أول بعثة إلى بلاد بونت في عهد الدولة الوسطى، عن طريق السفن التي شيدت في وادي الحمامات، على البحر الأحمر. خلف منتوحتب الثالث منتوحتب الرابع، الذي تم حذف اسمه بشكل ملحوظ من جميع قوائم الملوك المصريين القدماء. تدعي برديات تورينو أنه بعد منتوحتب الثالث كان هناك "سبع سنوات بدون ملوك". على الرغم من هذا الغياب، فإن هناك أدلة على حكمه في عدد قليل من النقوش في وادي الحمامات والتي تسجل حملات على ساحل البحر الأحمر ومحاجر الحجر لعمل الآثار الملكية. كان قائد هذه البعثة وزيره أمنمحات، الذي يُعتقد على نطاق واسع أنه الملك المستقبلي أمنمحات الأول، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة.

دفع غياب منتوحتب الرابع من قوائم الملوك إلى نشوء نظرية مفادها أن أمنمحات الأول اغتصب عرشه. في حين أنه لا توجد روايات معاصرة عن هذا الصراع، قد تشير بعض الأدلة الظرفية إلى وجود حرب أهلية في نهاية الأسرة الحادية عشرة. تشير النقوش التي تركها نهري، وهو حاتي عا هيرموبوليس، إلى أنه تعرض للهجوم في مكان يسمى Shedyet-sha من قبل قوات الملك الحاكم، لكن قواته انتصرت. يدعي خنوم حتب الأول، وهو مسؤول في عهد أمنمحات الأول، أنه شارك في قافلة من عشرين سفينة تم إرسالها لتهدئة صعيد مصر. اقترح دونالد ريدفورد أن هذه الأحداث يجب أن تفسر كدليل على حرب بين اثنين من المتصارعين على العرش. ما هو مؤكد أنه، على الرغم من وصوله إلى السلطة، لم يكن أمنمحات الأول من أصل ملكي.

الأسرة الثانية عشرة

من الأسرة الثانية عشرة فصاعدًا، احتفظ الفراعنة غالبًا بجيوش دائمة مدربة جيدًا، والتي شملت وحدات نوبية. وشكلت هذه الجيوش الأساس لقوى أكبر تم تكوينها للدفاع ضد الغزوات، أو للبعثات

في أعالي النيل أو عبر سيناء. ومع ذلك كانت المملكة الوسطى دفاعية بشكل أساسي في استراتيجيتها العسكرية، وأنشأت تحصينات في الشلال الأول للنيل، وفي الدلتا وسيناء.

في وقت مبكر من عهده، اضطر أمنمحات الأول إلى شن حملات في منطقة الدلتا، التي لم تحظ باهتمام كبير مثل الذي حظيته مصر العليا خلال الأسرة الحادية عشرة. بالإضافة إلى ذلك، عزز الدفاعات بين مصر وآسيا، وأمر ببناء جدران في منطقة شرق الدلتا. ربما استجابة لهذا الاضطراب الدائم، بنى أمنمحات عاصمة جديدة لمصر في الشمال، تعرف بأثيت تاوي، القابضة على *الأرضين*. موقع هذه العاصمة غير معروف، ولكن يعتقد أنه بالقرب من مقبرة المدينة، والتي توجد في اللشت. مثل منتوحتب الثاني، عزز أمنمحات سلطته بالبروباجاندا.[1] تعود نبوءة نفرتي إلى هذا الوقت تقريبًا، والتي تدعي أنها نبوءة لكاهن من عصر المملكة القديمة، يتنبأ بملك، وهو أمنمحات الأول، نشأ من جنوب مصر لاستعادة المملكة بعد قرون من الفوضى.

على الرغم من تلك الدعاية، لم يمتلك أمنمحات أبدًا السلطة المطلقة التي تمتع بها فراعنة المملكة القديمة. خلال الفترة الانتقالية الأولى، اكتسب حكام مقاطعات مصر قوة لا يستهان بها و أصبحت مناصبهم وراثية، ودخل بعضهم في تحالفات زواج مع آخرين من المقطاعات المجاورة. لتعزيز موقفه، طلب أمنمحات تسجيل الأراضي، وتعديل حدود المقاطعات، وتعيين الحكام المحليين مباشرة كلما أصبحت الوظائف شاغرة، ولكنه وافق على نظام الحكم المحلي، ربما من أجل تهدئة الحكام المحليين الذين دعموا حكمه. أعطى هذا النظام المملكة الوسطى تنظيمًا إقطاعيًا أكثر مما كانت عليه مصر من قبل أو مما ستصبح عليه بعد ذلك.

في عامه العشرين، جعل أمنمحات ابنه سنوسرت الأول حاكما مشتركا معه،بادئا بذلك ممارسة تكررت في باقي عصر المملكة الوسطى ومرة أخرى خلال عصر المملكة الحديثة. في السنة الثالثة والثلاثين من حكم أمنمحات، قُتل في مؤامرة. وهرع سنوسرت، الذي كان في حملة ضد الليبيين، إلى أثيت تاوي لمنع المتآمرين من الاستيلاء على الحكم. خلال فترة حكمه، واصل سنوسرت ممارسة التعيين المباشر للحكام المحليين، وتقويض استقلالية الكهنة المحليين من خلال البناء في مراكز العبادة في جميع أنحاء مصر. تحت حكمه، مدت الجيوش المصرية سيطرتها جنوبًا إلى النوبة حتى الشلال الثاني، وبُنِي حصن حدودي في بوهين وتم ضم كل النوبة السفلى كمستعمرة مصرية.[1] إلى الغرب عزز سلطته على الواحات، ووسع الاتصالات التجارية إلى كنعان حتى أوغاريت.[1] في عامه الثالث والأربعين على العرش، عين سنوسرت أمنمحات الثاني كحاكم مشترك، قبل أن يموت في عامه السادس والأربعين.

غالبًا ما يوصف عهد أمنمحات الثاني بأنه سلمي إلى حد كبير لكن بعض السجلات ألقت بظلال من الشك على هذا الوصف. من بين هذه السجلات، المحفوظة على جدران معابد في منف، يوجد

وصف لمعاهدات سلام مع بعض المدن الكنعانية، وصراع عسكري مع آخرين. إلى الجنوب، أرسل أمنمحات حملة عبر النوبة السفلى لتفقد الواوات. لا يبدو أن أمنمحات قد واصل سياسة أسلافه في تعيين الحكام المحليين، بل ترك الوظائف تصبح وراثية مرة أخرى. كذلك، تعود رحلة أخرى إلى بلاد بونت إلى عهده. في سنته الثالثة والثلاثين، عين ابنه سنوسرت الثاني كحاكم مشترك.

لا يوجد دليل على أي نشاط عسكري من أي نوع في عهد سنوسرت الثاني. وبدلاً من ذلك، يبدو أن سنوسرت الثاني قد ركز على القضايا المحلية، وخاصة ري الفيوم. هدف هذا المشروع إلى تحويل واحة الفيوم إلى مساحة منتجة من الأراضي الزراعية. بنى سنوسرت هرمه في اللاهون، بالقرب من تقاطع النيل مع قناة الري الرئيسية في الفيوم، بحر يوسفحكم سنوسرت خمسة عشر عامًا فقطوهو ما يفسر عدم اكتمال العديد من منشآته. وقد خلفه ابنه سنوسرت الثالث.

كان سنوسرت الثالث ملكًا محاربًا، وغالبًا ما سار إلى ميدان المعركة بنفسه. في عامه السادس، أعاد حفر قناة تعود لعصر المملكة القديمة حول الشلال الأول لتسهيل السفر إلى النوبة العليا. استفاد سنوسرت من هذا المشروع لإطلاق سلسلة من الحملات الكبيرة في النوبة في سنواته السادسة والثامنة والعاشرة والسادسة عشرة. بعد تحقيقه للانتصارات، بنى سنوسرت سلسلة من الحصون الضخمة في جميع أنحاء البلاد لإنشاء حدود رسمية بين النوبة المصرية والنوبة غير المحتلة. أُمِر حماة هذه الحصون بإرسال تقارير إلى العاصمة عن أي تحركات وأنشطة للسكان المحليين في منطقة مدجاي، ونجا بعض هذه التقارير، كاشفة عن مدى اهتمام سنوسرت بالسيطرة على الحدود الجنوبية. لم يُسمح للمدجاي بالعبور شمال الحدود بالسفن، ولا الدخول برا بقطعانهم، ولكن سمح لهم بالسفر إلى الحصون المحلية من أجل التجارة. بعد ذلك، أرسل سنوسرت حملة أخرى في عامه التاسع عشر، لكنه عاد بسبب انخفاض مستويات النيل بشكل غير طبيعي، مما عرض سفنه للخطر. يسجل أحد جنود سنوسرت أيضًا حملة في فلسطين، ربما ضد شكيم ، وهي الإشارة الوحيدة المتوفرة إلى حملة عسكرية ضد موقع في فلسطين في عصر المملكة الوسطى.

حبة عقيق أحمر نادرة تم العثور عليها في مصر، ويعتقد أنها تم استيرادها من حضارة وادي السند عبر بلاد الرافدين، في مثال للعلاقات بين مصر وبلاد الرافدين. قبر أبيدوس ١٩٧، أواخر المملكة الوسطى. توجد الآن في متحف بيتري للآثار المصرية في لندن.

على الصعيد المحلي، يعود لسنوسرت الفضل في الإصلاح الإداري الذي وضع المزيد من السلطة في أيدي المعينين من الحكومة المركزية، بدلاً من الحكام المحليينتم تقسيم مصر إلى ثلاثة *أقسام*: الشمال والجنوب ورأس الجنوب (على الأرجح تعني مصر السفلى، ومعظم مصر العليا، ومقاطعات

الأسرة الطيبية خلال حربها مع إهناسيا، على التوالي). كان كل منطقة يديرها *مراسل*، *ومراسل ثانٍ*، ونوع من المجالس، وهيئة من المسؤولين *والكتاب*يبدو أن قوة الحكام المحليين تناقصت بشكل دائم خلال فترة حكمه، وفُسِّر ذلك بأنه يعني أن الحكومة المركزية قد قمعتهم أخيرًا، على الرغم من عدم وجود أي سجل يؤكد بأن سنوسرت اتخذ إجراءات مباشرة ضدهم.

ترك سنوسرت الثالث إرثًا دائمًا باعتباره فرعونًا محاربًا. تم تسميته من قبل المؤرخين اليونانيين اللاحقين باسم سيزوستريس، وهو الاسم الذي تم إعطاؤه بعد ذلك لعدد من الفراعنة المحاربين في المملكة الحديثة كذلك. في النوبة، عبد المستوطنون المصريون سنوسرت كإله راعي. تبقى مدة حكمه محل جدال. بدأ ابنه أمنمحات الثالث في الحكم بعد العام التاسع عشر من حكم سنوسرت، والذي يعتبره الكثيرون آخر إشارة إلى عهد سنوسرت ومع ذلك، فإن الإشارة إلى العام التاسع والثلاثين على أثر تم العثور عليه في حطام معبد سنوسرت الجنائزي يشير إلى إمكانية وجود حكم مشترك طويل مع ابنه

كان عهد أمنمحات الثالث ذروة الازدهار الاقتصادي للمملكة الوسطى. شهد حكمه درجة عظيمة من استغلال مصر لمواردها. تم تشغيل معسكرات التعدين في سيناء –والتي كانت تستخدم في السابق فقط من خلال بعثات متقطعة– على أساس شبه دائم، كما يتضح من بناء المنازل والجدران وحتى المقابر المحليةهناك ٢٥ إشارة منفصلة لبعثات التعدين في سيناء، وأربع إشارات إلى البعثات في وادي الحمامات، واحدة منها تحدثت عن أكثر من ألفي عامل. عزز أمنمحات الدفاعات التي أنشأها والده في النوبة وواصل مشروع استصلاح أراضي الفيوم. بعد فترة حكم استمرت ٤٥ عامًا، خلف أمنمحات الثالث أمنمحات الرابع، والذي امتد عهده لمدة تسع سنوات لكن لا يبقى سوى القليل من الآثار من عهده. من الواضح أنه بحلول هذا الوقت، بدأت قوة الأسرة تضعف، وقد اقترحت عدة تفسيرات لذلك. تشير السجلات المعاصرة لمستويات فيضان النيل إلى أن نهاية عهد أمنمحات الثالث اتسمت بالجفاف، وربما ساعدت قلة المحاصيل في زعزعة استقرار الأسرة. علاوة على ذلك، كان لأمنمحات الثالث عهد طويل بشكل غير عادي، مما قد يؤدي إلى خلق مشاكل في الخلافةربما تفسر الحجة الأخيرة سبب صعود سبك نفرو بعد أمنمحات الرابع، وهي أول ملكة مصرية مؤكدة تاريخياً. حكمت سبك نفرو ما لا يزيد عن أربع سنوات،ولأنها لم يكن لديها ورثة على ما يبدو، عندما ماتت وصلت الأسرة الثانية عشرة إلى نهاية مفاجئة كما انتهى العصر الذهبي للمملكة الوسطى.

بعد وفاة سبك نفرو، ربما يكون العرش قد انتقل إلى سوبك حتب الأول،على الرغم من أنه في الدراسات القديمة كان يعتقد أن وجاف، الذي كان سابقًا مشرفًا على القوات كان يعتقد أنه قد حكم

بعد ذلك وبدءًا من هذا الملك، حكمت مصر سلسلة من الملوك لحوالي عشر إلى خمسة عشر عامًا. تعتبر المصادر المصرية القديمة هؤلاء الملوك الأوائل من الأسرة الثالثة عشرة، على الرغم من أن مصطلح "أسرة" مضلل، لأن معظم ملوك الأسرة الثالثة عشرة لم يكونوا من أسرة واحدة. يشهد على أسماء هؤلاء الملوك قصيري العهد عدد قليل من الآثار والكتابات، ولا يُعرف ترتيب خلافتهم إلا من بردية تورينور، وهي ليست موثوقة تمامًا.

بعد الفوضى الأسرية الأولية، حكمت سلسلة من الملوك الأطول حكمًا لمدة نحو خمسين إلى ثمانين عامًا أقوى ملوك هذه الفترة، نفر حتب الأول حكم لمدة أحد عشر عاما، وحافظ على السيطرة الفعلية على صعيد مصر والنوبة، والدلتا، ربما باستثناء سخا وأفاريسكما كان نفر حتب الأول معترف به على أنه حاكم جبيل في لبنان الحالية، مما يشير إلى أن الأسرة الثالثة عشر كانت قادرة على الاحتفاظ بالكثير من قوة الأسرة الثانية عشرة، على الأقل حتى انتهاء عهده. في مرحلة ما خلال عهد الأسرة الثالثة عشرة، بدأت سخا وأفاريس في تكوين حكم ذاتي، حكام سخا هم الأسرة الرابعة عشرة، والحكام الآسيويون في أفاريس هم الهكسوس ملوك الأسرة الخامسة عشرة. وفقًا لمانيتون، حدث هذا التمرد في عهد خليفة نفرحتب، وهو سوبك حتب الرابع، على الرغم من عدم وجود دليل أثري على ذلك. خلف سوبك حتب الرابع سوبك حتب الخامس، الذي تبعه وهيبري إيبياو ، ثم مر نفر رع اي. حكم وهيبري عشر سنوات، وحكم مر نفر رع اي لمدة ثلاثة وعشرين عامًا، وهي فترة أطول من عهد أي ملك آخر من الأسرة الثالثة عشرة، ولكن لم يترك أي من هذين الملكين آثار سوى القليل على العكس من نفرحتب أو سوبك حتب الرابع. على الرغم من ذلك، يبدو أن كليهما سيطر على أجزاء من مصر السفلى على الأقل. ومع ذلك، بعد مر نفر رع اي، لم يترك أي ملك اسمه على أي أثر تم العثور عليه خارج مصر العليا بدأ هذا نهاية الأسرة الثالثة عشرة، عندما استمر ملوك الجنوب في السيطرة على صعيد مصر، ولكن تفككت وحدة مصر بالكامل، أفسحت المملكة الوسطى الطريق إلى الفترة الانتقالية الثانية.

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : السابعة

الهكسوس

الهكسوس :- هم شعوب بدوية من اصول مختلفة دخلت مصر من الشرق في فترة ضعف خلال نهاية حكم الدولة الوسطى تقريباً في نهاية حكم الاسرة الرابعة عشر ولم يتفق خبراء التاريخ على اصلهم ، استمر حكم الهكسوس لمصر حوالي قرنين من الزمان ولم تكن اقامتهم هادئة بل قوبلت بكثير من الثورات والمقاومة من الشعب المصري وكلمة هكسوس لا تعني اسم قوم او علماً وانما هي لقب اطلقه المصريين القدماء على حاكم غريب يحكم بلاد غريبة أي بالمعني الواسع حكام المناطق الاجنبية والهكسوس باللغة اليونانية تتالف من كلمتين (هك) بمعنى ملك و(سوس) بمعنى رعاة أي (ملوك الرعاة) وهو تفسير خاطئاً وكلمة هكسوس بالمصرية القديمة (حق حاسوت) أي حكام البلاد الاجنبية البلاد التي تقع خارج حدود المملكة المصرية القديمة اتخذ الهكسوس عاصمة لهم شرق الدلتا تدعى (اواريس) كانت مصر السفلى تخضع لحكمهم المباشر اما مصر العليا فكانت تحت الحكم المصري انتهى حكم الهكسوس بعد حرب شرسة شنها المصريون انتهت بطرهم نهائياً على يد الملك المصري (احمس او احموسة الاول) في عهد الاسرة الحديثة

اسباب هجرة الهكسوس

تختلف ارآء المؤرخين وتتضارب عند الكلام عن اسباب هجرتهم لذلك انقسموا فريقين :-

الفريق الاول :- يقول انهم هاجروانتيجة الضغط فيقول احد المؤرخين انهم هاجروا من سوريا وفلسطين نتيجة ما حل بهم من ظلم الحكام والاقوام الهندية الاوربية وبسبب ضغط الاراميين

الفريق الثاني :- انهم لم يهاجروا نتيجة ضغط بل ارادوا فتح مصر واحتلالها لانهم كانوا يتمتعون بجيش منظم مستغلين بذلك الظروف السياسية والنزاع الداخلي والصراع التقليدي بين مصر العليا ومصر السفلى فهم يمتلكون جيش مدرب ومنظم تنظيماً عسكرياً اضافة إلى استخدامهم احدث الاسلحة التي ابهرت فراعنة مصر

اصل الهكسوس

مثلما اختلف المؤرخون في اسباب هجرتهم اختلفوا ايضاً في اصولهم فمنهم قال انهم قبائل عربية تسكن سوريا وفلسطين وبلاد الجزيرة العربية نزوحوا إلى مصر ومنهم من يقول انهم خليط من عدة اقوام غزت مصر من سوريا وفلسطين نتيجة تعرض الشرق الادنى إلى هجرات الاقوام الهندية الاوربية لذلك لم يتفق خبراء التاريخ على اصلهم ولكن الراجح انهم اصحاب اصول اسيوية متعددة وانتقلوا من العراق إلى بلاد الشام ثم مصر ورغم ان اصلهم تسبب في جدل طويل بين المختصين بيد أنه يوجد اتفاق عام على انهم عرب يمثلون خليطاً بشرياً تمتد جذوره من مناطق غربي سوريا ولذلك فأن الهكسوس جزءاً من الكنعانيين اتحدوا مع الاموريين والتحقت بهم مجموعات من سكان فلسطين القدماء

ابرز الادلة التي تثبت ان الهكسوس اصلهم عربي :-

١- ان اغلب اسماؤهم التي خلفوها في مصر وسوريا وجزيرة كريت احدى مستعمراتهم هي اسماء عربية ترددت في كثير من الالواح التي خلفها ملوكهم مثل (يعقوب ، سلاطين ،ابو قيس، عبد نعمان ، ابا حنان)

٢- وجود الكلمات العربية التي ظلت تستعمل في مصر بعد فترة الهكسوس مثل كلمة (عربة ، عجلة ، المركبة)

٣- اسماء الالهة الجديدة لم تكن مصرية بل عربية مثل (عشترون ، بعليم لي ، بعل ، هبل)

٤- علاقتهم ببلاد الشام علاقة وثيقة فقد عثر على اثار هذا بالاضافة إلى العلاقات التجارية وازدهارها

٥- عاصمتهم (اواريس) خططوها على أطراف الصحراء وهذه ميزة امتازت بها العواصم العربية عبر العصور

ابرز انجازات الهكسوس في مصر

١- ادخلوا اسلحة جديدة ابهرت الفراعنة كالسيف المقوس المصنوع من الحديد وهو معدن لا يعرفونه المصريون لم يكن يدخل مصر بعد
٢- قدم الهكسوس لمصر بعض من التكنالوجيا الحربية التي كانت يستعملها مثل عربات تجرها الخيول والاقواس المركبة والفؤوس الخارقة
٣- انشائهم تحصينات عسكرية قوية في عدد من النقاط المهمة على طول حدود مصر السفلى وخصوصاً المنطقة الغربية من فلسطين
٤- ازدهار فن التعدين في فترة الهكسوس
٥- ظهور العديد من التأليف العلمية خصوصاً الرياضيات فقد عثر نصوص تعود إلى عهد الهكسوس
٦- تطور استعمال البرونز واصبحت المواد البرونزية اكثر شيوعاً
٧- ادخلوا استخدام الاختام المنبسطة النصف دائرية
٨- استخدام صناعة التزجيج اخذت تشمل المواد الكبيرة وتتصف بتعدد الالوان
٩- ظهور ادوات موسيقية جديدة تشمل نوعاً من القيثارات وعود طويل العنق والمزمار والدفوف
١٠- ومن ابرز الاشياء المهمة التي ادخلها الهكسوس في زراعة الزيتون والرمان

اهمال المؤرخون والكتاب المصريين المعاصرين للهكسوس بتدوين فترتهم :-

١- سبب كراهية المصريين للهكسوس الشديدة حيث اعتبروا فترة الهكسوس فترة مظلمة بسبب السلب والنهب والتخريب الذي طال مصر في بداية دخولهم بالاضافة إلى قيام بحرق المدن وتدمير المعابد وسبي النساء والاطفال
٢- اعتبار فترة الهكسوس فترة احتلال وسيطرة اجنبية على بلادهم لانهم جاءو من خارج مصر

اسباب نهاية الهكسوس :-

١- ضعف سلطة الهكسوس وانغمار ملوكهم بالملذات وتشبهوا بفراعنة مصر
٢- انشغالهم بترف الحياء وتركوا الامور بأيدي حكام غير أمنين
٣- انحسار سلطتهم في الشمال والوسط وتركوا مصر العليا منفردة
٤- قيام الفرعون المصري (احموس او حموسة الاول) بشن عدة حملات ضد الهكسوس وهزمهم في عدة معارك الذي تدرب على القتال مع المحاربين القدامى

احموسة الاول :- وهو مؤسس السلالة الثامنة عشر تولى العرش بعد ان قام بالقضاء على الهكسوس وطردهم من مصر واستعانت طيبة سيادتها على جميع انحاء مصر كما اعاد تنظيم ادارة البلاد وفتحت المحاجر والمناجم وطرق جديدة للتجارة وبدأت مشاريع ضخمة لم تكن مألوفة انذآك ووضع عهد احمس الاول اسس لعصر الدولة الحديثة والتي بموجبها وصلت الدولة المصرية ذروتها ، وقام بتطوير الجيش المصري فكان اول من ادخل عليه العجلات الحربية والتي كان يستخدمها الهكسوس وهي سبب تغلب الهكسوس على مصر وطور كذلك الاسلحة الحربية باستخدام النيبال المزودة بالحديد والتف حوله الشعب فقام بتدريبهم بكفاءة عالية حتى اصبحوا محاربين اقوياء ومهرة كما قام باصلاح نظام الضرائب واعاد فتح الطرق التجارية واصلح القنوات المائية ونظام الري واعاد بناء المعابد واصبح (آمون) هو المعبد الرسمي في عصره ، استمر حكم احموسة مدة ربع قرن(٢٥) سنة وتوفي وعمره ٣٥ عاما تقريباً بعد طرد الهكسوس من مصر اتجه للاصلاح الداخلي مما جعله المؤرخون يعدونه المؤسس للدولة الحديثة

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الثامنة

الاسرة الثامنة عشر الى الاسرة العشرين

الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة (١٥٥٠- ١٢٩٢ قبل الميلاد)، أكثر الأسر المصرية القديمة معرفة. كذلك تضم عددًا من أكثر الفراعنة شهرة في مصر، فقد شملت توت عنخ آمون وحتشبسوت وأخناتون وأحمس.

تُشكّل الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون فترة الدولة الحديثة من التاريخ المصري القديم.

يشير التأريخ بالكربون المشع إلى أن الأسرة الثامن عشر قد بدأت قبل بضع سنوات من التاريخ التقليدي من ١٥٥٠ قبل الميلاد. تأريخ الكربون المشع لبداية الأسرة هو ١٥٧٠-١٥٤٤ ق.م، وهذا يعني أنها كانت ١٥٥٧ق.م

ابرز حكام هذه الاسرة

حكمت سلالة الفراعنة من الأسرة الثامن عشر لحوالي مائتين وخمسين عامًا (١٥٥٠-١٢٩٨ قبل الميلاد). دفن العديد من الفراعنة في وادي الملوك في طيبة (تعين بحرفي KV). كما أن العديد الزيجات الدبلوماسية للمملكة الجديد. غالبا ما تذكر زيجات بنات الملوك الأجانب فقط في النصوص المسمارية والتي لا تعرف من مصادر أخرى. كانت أن الزيجات على الأرجح وسيلة لتوطيد

الأسرة التاسعة عشرة

كان عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة بداية عصر جديد في تاريخ الأمة المصرية من الوجهتين السياسية والدينية، كما كان كذلك عهد رخاء وإصلاح داخلي من ناحية الإدارة والعمارة، فقد رأينا أن الفرعون «حور محب» آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد أعاد للبلاد ديانتها الأصلية، كما استرد لها بعض مكانتها السياسية بإخضاع بلاد النوبة ثانية للحكم المصري، وبالانتصارات التي أحرزها على أقوام البدو و«خيتا» الذين كانوا قد أغاروا على أملاك مصر في سوريا وفلسطين، هذا إلى أنه وطّد أركان السلام في داخلية البلاد بسنِّ القوانين التي أصبحت فيما بعد مضرب الأمثال؛ ومما يؤسف له أن هذا العاهل العظيم لم يكن في مقدوره أن يسترد للبلاد مكانتها الأصلية في آسيا، وقد ترك ذلك لأخلافه من بعده، غير أنه لم يعقب من يرث الملك من نسله؛ فخلفه أحد قواده. والواقع أن ما لدينا من

المصادر التاريخية عن وراثة العرش بعد «حور محب» أحيط بحجاب كثيف من الغموض والإبهام، وبخاصة عندما نعلم أن ما وصل إلينا عن طريق الكتَّاب القدامى من مؤرِّخي العصر اليوناني الإغريقي يتناقض مع ما تستنبطه من الآثار الباقية لنا من هذا العصر؛ ولذلك تعترض المؤرِّخ عندما يتناول درس تاريخ الأسرة التاسعة عشرة مسألتان؛ أولاهما: من أول ملوك هذه الأسرة؟ والثانية: إلى أي بيت يُنسب هذا الملك، وبأي حق استوى على عرش مصر؟

والجواب عن السؤال الأول ينحصر في رأيين؛ أولهما: أن بعض المؤرخين، ومن بينهم الأستاذ «برستد» يظن أن هذه الأسرة تبتدئ بالفرعون «حور محب». والرأي الثاني: ما يزعمه البعض الآخر من المؤرخين، ومن بينهم الأستاذ «أدورد مير»، والأستاذ «فلندرز بتري» من أن «حور محب» كان آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وأن أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة هو الفرعون «رعمسيس الأول»، وهذا الرأي الأخير هو المرجح وقد اتبعناه. غير أن ما وصل إلينا من التقاليد التي نقلها لنا كتاب الإغريق، وغيرهم لا يتفق مع هذا الرأي.

والواقع أن ما جاء في قائمة «مانيتون»، وما ذُكر في مختصر «أفريكانوس»، ومختصر «يوزيب» يبدو قلقًا عند هذه النقطة، يضاف إلى كل ذلك أن «يوسفس» المؤرخ اليهودي يبتدئ الأسرة التاسعة عشرة بالملك «سيتي الأول». ولا نزاع في أننا إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من الوجهة التاريخية ظهر لنا بطبيعة الحال وجوب أن يكون «حور محب» هو الحد الفاصل بين الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة؛ إذ إن الحقيقة لا مراء فيها هي أن نسل الذكور في ملوك الأسرة الثامنة عشرة كان قد انقطع حبله بموت الملك الشاب «توت عنخ آمون»، إذ إنه قُضِيَ دون أن يعقب ذكرًا، ومن أجل ذلك خلفه على عرش الملك الفرعون «آي» أقوى رجل في البلاد وقتئذ، وقد عزز اعتلاءه عرش المُلك زواجه من أرملة «توت عنخ آمون» (راجع الجزء الخامس). وقد خلف «آي» القائد «حور محب» الذي يُعد بلا نزاع الممهد الأول لبناء ملك الأسرة التاسعة عشرة؛ لما قام به من إصلاحات عظيمة، كان الغرض منها إقالة مصر من عثرتها، وإنعاشها من رقدتها، وإنهاضها من كبوتها التي جرَّها عليها «إخناتون» بسوء سياسته داخل البلاد وخارجها. والظاهر أن «حور محب» قد قُضِيَ دون أن يترك خلفًا على عرش الكنانة؛ ويدل ما قام به قبل موته على أنه كان يشعر بذلك قد هيأ الأمور لوزيره وقائد جيشه المسمى «بارعمسيس» ليخلفه على أريكة البلاد وفقًا لسياسة اختطت من قبل، ثم خلف «رعمسيس» هذا بدوره ابنه «سيتي الأول»، ومن ثم تعاقب الملك أخلافه من ظهره قرنًا ونصف قرن من الزمان. ومن بعض المؤرخين «رعمسيس الأول» على رأس ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقد أخذنا بهذا الرأي؛ لأنه على ما يظهر هو الرأي الصواب.

أما الجواب عن المسألة الثانية، وهي البيت الذي يُنسب إليه ملوك هذه الأسرة فنجد الإجابة عنه قد وردت في متن لوحة أربعمائة السنة التي عُثر عليها في «تانيس» (راجع الجزء الرابع)، هذا بالإضافة إلى أن أسماء أعضاء الأسرة المالكة الجديدة قد ركبت تركيبًا مزجيًّا مع اسم الإله «ست» الذي كان يُعبد في «ستوريت»، وهي المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، (راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٩٧)؛ مما يدل على أن أسرته نبتت من هذه الجهة.

أما شرعية اعتلاء «رعمسيس الأول» عرش مصر، فليس لدينا حتى الآن براهين معاصرة قاطعة تؤكد لنا هذا الحق، وكل ما لدينا في هذا الصدد بعض احتمالات منطقية يقبلها العقل، وتعززها النقوش إلى حد بعيد، وسنستعرضها هنا ليحكم عليها القارئ بما تستحق من منزلة تاريخية.

«مانيتون» وتواريخ الأسرة التاسعة عشرة

كان المفروض إلى عهد قريب جدًّا أن قائمة الملوك التي خلفها لنا المؤرخ المصري «مانيتون» تبتدئ ملوك الأسرة التاسعة عشرة باسم الملك «سيتي الأول» على حسب قراءة الأستاذ «إدوردمير»، وغيره من فحول المؤرخين في التاريخ القديم، غير أن «إدوردمير» يقول: إن ترتيب

«مانيتون» للجزء الأول من ملوك هذه الأسرة يعتوره ارتباك بالغ، وخلط في الحقائق، إذا وازنا ما جاء فيها بما بقي لنا على الآثار، يضاف إلى ذلك أن المؤرخين الذين نقلوا عن «مانيتون» وبخاصة «أفريكانوس»، و«يوسفس»، ثم «يوزيب» قد اختلف بعضهم عن بعض في كتابة أسماء هؤلاء الملوك، وقد بقيت الحال كذلك حتى عام ١٩٢٨م عندما نشر الأستاذ «ستروف»[١] مقالًا؛ الغرض منه موضوع ظهور نجم الشعرى الذي ذكر فيما كتبه «ثيون Theon» الرياضي الإسكندري الأصل. فقد ذكر لنا «ثيون» هذا أن نجم الشعرى بدأ دوره في عهد ملك يُدعى «منوفيس» في عام(١٣٢٢ق.م) ولا بد أن هذا التاريخ يقع في حكم أحد الملوك الثلاثة التالين، وهم؛ «حور محب»، و«رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، وقد حكم على حسب ما ذكره «بتري»[٢] ما بين عامي (١٣٢٨–١٣٢٢ق.م) وعلى حسب ما ذكره «برستد»[٣] ما بين عامي (١٣٢٠–١٣١٥ق.م).

وإذا نظر الإنسان نظرة سطحية وجد للمرة الأولى عدم التجانس اللفظي بين أسماء هؤلاء الملوك وبين اسم «منوفيس»، ولكن لا بد أن نذكر هنا أن اسم «سيتي» العلم الكامل هو «سيتي مرنبتاح»، وأن الجزء الأخير من هذا الاسم — وهو«مرنبتاح» — يمكن أن يعادل الاسم «منوفيس» على حسب النطق اليوناني، كما ذكر لنا ذلك الأثري «لبسيوس». يضاف إلى ذلك أن تاريخ حكم «سيتي الأول» يتفق على وجه التقريب مع عام (١٣٢٢ق.م) الذي ذكره لنا «ثيون»، وأن حذف كلمة «سيتي» من الاسم كان يحدث أحيانًا في تاريخ هذا الفرعون، كما يمكن تفسيره بسهولة؛ وذلك أن المصادر التي استقى منها «ثيون» معلوماته كان قد حذف منها كلمة «سيتي» التي تدل على اسم الإله الشرير المخيف الذي قتل أخاه «أوزير» الطيب المحبوب، ويعزز ذلك الرأي من جانبنا أن «سيتي» نفسه كان يتحاشى كتابة اسمه بصورة هذا الإله الشقي.

وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك البطالمة كان يعز عليهم أن يذكروا أحد أسلافهم المبجلين باسم مُشين مرذول؛ ولذلك فضلوا إسقاط الجزء الأول من الاسم وهو الممقوت، واكتفوا بالدلالة على هذا الملك بالجزء الثاني من اسمه العلم، وهو«مرنبتاح»، وهو ما يقابل في الإغريقية «منوفيس». ويمكن الاعتراض على ذلك من ناحية أخرى بأن قائمة «مانيتون» لا تحتوي على اسم «ستوس» الذي قال عنه كل من فحص هذه القائمة من مؤرخي اليونان أنه يقابل اسم «سيتي الأول». ولكن طالعنا الأستاذ «ستروف» ببحث حاول فيه أن يثبت خطأ توحيد هذين الاسمين؛ وأن ذلك قد نتج عن غلطة ارتكبها النُّسَّاخ الذي نقل عن «مانيتون»، يدل على ذلك أن «يوسفس» الذي اقتبس عن «مانيتون» في كتابه (Contra Apion I, 15.) لم يوحد اسم «سيتي» باسم «ستوس»، بل إن الوقائع التي ذكرها «يوسفس» لا يمكن أن تُنسب إلا لـ «رعمسيس الثاني»؛ من أجل ذلك يعتقد «ستروف» أن اسم «ستوس» ليس إلا تحريفًا لاسم «سوس» الذي يمكن توحيده باسم «سسي»، وهو الاسم المحبب الذي كان ينادَى به الفرعون «رعمسيس الثاني». فإذا كان الرأي الذي جاء به «ستروف» مقبولًا فإن رواية «مانيتون» عن الأسرة التاسعة عشرة تصبح مفهومة لا خلط ولا ارتباك فيها، وتتفق مع الحقائق المعاصرة،

والواقع أن قائمة ملوك هذه الأسرة — كما ذكرها «مانيتون» — لا تحتوي إلا على ثمانية ملوك، في حين أنه وُجد على الآثار تسعة ملوك كانوا حكام هذه الأسرة، والملك الذي لم يأتِ ذكره في قائمة «مانيتون» هو «سيتي الثاني مرنبتاح». وقد فسر ذلك «ستروف» بأنه قد سقط من قائمة «مانيتون» إهمالًا من الناسخ، ويقول: إنه من المحتمل حدوث ذلك بسبب حذف كلمة «سيتي» من اسم «سيتي مرنبتاح»؛ وبذلك أصبح موحدًا باسم «مرنبتاح» الذي سبقه في ترتيب القائمة. والحقيقة الهامة التي يمكن استخلاصها إذا وحدنا اسم «منوفيس» باسم «سيتي الأول» هي أنه يصبح في استطاعتنا تحديد عهد هذا الفرعون بعام (١٣١٨ق.م) تقريبًا، كما يرجح ذلك ظهور نجم الشعرى في اليوم الأول من السنة الجديدة، على أن كل ما ذكرنا هنا لا يتعدى حد نظرية مقبولة في ذاتها وحسب.

الأسرة المصرية العشرون

الأسرة العشرون في **مصر القديمة**، كثير ما تجمع مع الأسرة التاسعة عشر تحت مسمى الدولة الحديثة. تعتبر هي آخر أسرات الدولة الحديثة، وتلتها الفترة الإنتنطقية الثالثة. أسسها ست ناختي إلا حتى أبرز ملوكها كان رمسيس الثالث الذي إقتدى برمسيس الثاني في حكمه.

فراعنة الأسرة العشرين

حكم فراعنة الأسرة العشرين لنحو ١٢٠ سنة: من حوالي ١١٨٧ حتى ١٠٦٤ ق.م.. الكثير من الفراعنة مدفونين في وادي الملوك في طيبة (موسومة KV). يمكن العثور على المزيد من المعلومات في مسقط مشروع رسم خرائط طيبة.

الأحداث

قام الملك ست ناختي (١١٩٠ - ١١٨٧ ق.م) تحت حماية الإله آمون بوضع حد للقلاقل والاضطرابات التي انغمست فيها الأسرة التاسعة عشرة، مؤسساً السلالة الملكية الثانية المعروفة باسم الرعامسة. ثم توالى بعد هذا الملك سبعة ملوك آخرون يحملون اسم "رمسيس".

ونحت جميع ملوك هذه الأسرة مقابرهم في وادي الملوك بطيبة (وإن كنا لم نستدل بعد على مقبرة رمسيس الثامن). أما العاصمة الشمالية بي رمسيس التي كثيراً ما كان الملك رمسيس الثالث يتردد عليها، فإن أقدم مخلفاتها الأثرية ترجع إلى عصر الملك رمسيس الثامن، وقد أدى تناقص منسوب مياه الفرع الشرقي للدلتا إلى سقوط هذه العاصمة فيما بعد. وعلى أية حال يظهر حتى الرعامسة الأواخر قد فضلوا اتخاذ هذه العاصمة الشمالية مقراً لهم دون طيبة.

عمل رمسيس الثالث (١١٨٧ - ١١٥٦ ق.م) ابن ست ناختي بعد توليه الحكم على انقاذ مصر من هجمات الليبيين وغزوات شعوب البحر، واحتفظ ببعض المواقع في الأراضي الكنعانية. كما سار هذا الملك بصورة واضحة ومباشرة على نهج رمسيس الثاني، غير أنه شدد من تأثير الوازع الأخلاقي وتنمية مصادر ثروة الإله آمون.

ولكن هذا التألق الخاطف لم يستمر إلى حكم الملك الورع المتدين رمسيس الرابع (١١٥٦ - ١١٥٠ ق.م) ثم سادت بعد ذلك فترة طويلة من الانهيار والتدهور طوال ثلاثة أرباع قرن من الزمان، وأصيبت كافة أنحاء الشرق الأدنى بنوع من عدم الاستقرار المناخي، أدى إلى وقوعها فريسة لإضرابات، وتنازع العبرانيون والفلسطينيون على احتلال فلسطين ، وقام الآراميون بغزوسوريا وبدأت الإمبراطوريتان الآشورية والبابلية تعانيان من الانهيار والاضمحلال. أما مصر التي كانت لاتزال تفرض سيطرتها على السودان، فقد تقلص نفوذها من جهة آسيا، ولم تضع قدميها في سيناء بعد موت رمسيس السادس. كما ضعفت أوجه الأنشطة في تشييد المعابد، ونقشت ألقاب الملوك الرعامسة فوق المساحات الخالية الموجودة أصلا في الزخارف القائمة من قبل، ونحتت بعض التماثيل الرئيقة لرمسيس السادس والتاسع. وفي آخر المطاف، أي خلال حكم رمسيس الحادي عشر، استأنف العمل في معبد خنسوبالكرنك. ومن حسن الحظ حتى البرديات والشقافات التي عثر عليها في دير المدينة، حيث كان يقيم العمال المكلفون بنحت وزخرفة المقابر

الملكية، والعثور على الملفات الطيبية المتعلقة بالكثير من التحقيقات القضائية والنصوص التي هجرها كبار كهنة آمون بالكرنك قد أوضحت لنا جميع تلك المصادر الأحوال التي كانت سائدة في تلك الفترة التي كانت الإرادة السياسية والدور الشعائري للملك تبدوان فيها بشكل مبهم غير واضح في الجنوب، بخلاف قرارات ومبادرات كبار الكهنة في طيبة. ومنذ بداية حكم رمسيس الثالث ظهرت بعض الصعوبات المعيشية (كالإضرابات)، والاضطرابات التي عكرت صفوالنظام العام (كتلك المؤامرات التي حيكت في البلاط الملكي وبعض الإنقلابات العسكرية)، وأخيرا تمكن الليبيون من غزوالشمال وإشاعة القلق بالجنوب. ومما يذكر حتى هؤلاء الليبيين كانوا ينحدرون من سلالة أسرى حرب ثم تحولوا إلى جنود، أوكانوا من القادين الجدد الذين اندفعوا هربا من الصحاري بسبب المجاعات.

سرقة المقابر

وفي منطقة طيبة استطاعت إحدى العائلات حتى تهيمن طوال عدة أجيال على إدارة الكهنوت والتراث الخاص بآمون، وتملكت هذه الطبقة الكهنوتية السلطات الدنيوية والدينية وعملت على أعطى جذور الثقافة الروحية، كما أكدت على استقلالها ومكانتها، وفي عهد الملك رمسيس التاسع كان كبير الكهنة ويسمى أمنحتب هوالحاكم الحقيقي لطيبة، وفي فترة حكم نفس ذلك الملك ظهرت أيضا مشكلات في توزيع الحنطة (غذاء العمال) أدت إلى حدوث إضرابات جديدة، وانتشرت أعمال السلب والنهب داخل المقابر حتى تلك الخاصة بكبار الآلهة والملوك المتوفي. كما تجددت المجاعات واغتصاب المقابر، وعزل كبير الكهنة أمنحتب.

تراجع الأسرة

وظهر الليبيون وبدأ التدخل العسكري من جانب نائب الملك في النوبة، الذي توغل في قتاله حتى منطقة مصر الوسطى، بالإضافة إلى هجمات جيوش البرابرة . وازدادت الأمور سوءا في ظل حكم الملك رمسيس الحادي عشر (١٠٩٨ - ١٠٦٩ ق.م) وفي العام التاسع عشر سادت فترة سميت بعصر "تجديد الولادة" (وحم مسوت) متوازية مع الحكم الملكي، وأعربت عن نهضة النظام الكوني (بدلا من استبدال النظام العائلي) وبعديا عن رمسيس الضعيف المستقر في الشمال تمكن كبار كهنة طيبة، وقائد المرتزقة المعين حديثا المدعو(حريحور)، ثم بيعنخ من السيطرة على زمام الأمور في مصر العليا تحت شعار "وسيط آمون". وبقدوم سمندس مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين المقبلة، احتلت تانيس مكانة "بي رمسيس". وبذلك ساعدت نهاية الدولة الحديثة على نموبذور فترة الانتنطق الثالثة متمثلة في اضمحلال وجود الفرعون المعنوي، وتعزيز مكانة الإله آمون رع الخالق الأعظم بصفته منبع الحكم، وسيد مصائر الخلق وتشكيل السلطتين الطموحتين السابقتين: سلطة كهنة آمون، وسلطة الزعماء الليبيين الذين كانوا يسيرون في طريق التحضر والتمصير.

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : التاسعة

العصر المتأخر

)عصر الاضمحلال الثالث(، ويشمل الأسرات ٢١-٣٠ (١٠٨٥-٣٣٢ ق.م

تفق العلماء على تسمية الفترة التي تلت سقوط الدولة الحديثة سنة ١٠٨٥ ق.م بالعصر المتأخر أو عصر الاضمحلال الثالث، وهو عصر متأخر من الناحية الزمنية، إذ هو في ختام العصر الفرعوني، كما أنه متأخر من الناحية الحضارية.

أحوال مصر في العصر المتأخر

تدهورت أحوال البلاد سياسياً وثقافياً واقتصادياً. وتعرضت البلاد للنفوذ الأجنبي، فحكمها غرباء عنها، تمثلوا في مجموعات متتالية من الحكام الليبيين والنوبيين والآشوريين وأخيراً الفرس.

أشهر ملوك الفترة

الملك أبسماتيك الأول

تخللت الفترة المظلمة التي عاشتها مصر في عصر الاضمحلال الثالث، فترة حكم وطني استردت فيه مصر لزمن قصير حريتها واستقلالها، وكان هذا في عهد "أبسماتيك الأول" حاكم مدينة "سايس" ("صا الحجر" بمحافظة الغربية)، ومؤسس الأسرة ٢٦. اهتم "أبسماتيك الأول" بالجيش لتدعيم مركزه وصد أي عدوان خارجي، وعمل على تقويته، واستعان بجند مرتزقة (وهم الجنود الذين يعرضون خدماتهم العسكرية مقابل حصولهم على قدر من المال). كما نجح "أبسماتيك الأول" في طرد الآشوريين من مصر، وعمل على تنمية تجارة مصر مع المدن الفينيقية وغيرها.

الملك نخاو

هو أحد خلفاء "أبسماتيك الأول"، وقد عمل على إعادة حفر القناة التي كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر (قناة سيزوستريس)، حتى تتوسع مصر في تجارتها الخارجية. كما أرسل "نخاو" بعثة من الفينيقيين للدوران حول أفريقيا، استغرقت ثلاث سنوات، ونجحت في ذلك.

نهاية الحكم الفرعونى لمصر[عدل]

انهارت النهضة التي أقامها الملك "أبسماتيك الأول" وخلفاؤه، على يد الفرس الذين غزوا البلاد سنة ٥٢٥ ق.م وجعلوا مصر جزءا من إمبراطوريتهم الكبيرة.

بعض الاثر

الأسرة السادسة والعشرون

الأسرة السادسة والعشرون (أو الأسرة السايسية) من تاريخ مصر. وحسب نسخة أفريكانوس، الأمينة في معظمها، لمجلد مانيتو، بالأسرة تألفت من تسع ملوك أولهم ستفيناتس (أي تف ناخت الثاني) وآخرهم پسماتيكوس الثالث. أفريكانوس كان صحيحا حين ذكر أن پسماتيكوس الأول ونخاو الأول حكما مصر للمدتين ٥٤ عاماً وثمانية أعوام.

الأسر السادسة والعشرون، وحتى الحادية والثلاثون تسمى العصر المتأخر من تاريخ مصر القديمة. والأسرة السايسية كانت آخر أسرة مواطنة (أي من أهل البلد) تحكم مصر قبل الغزو الفارسي وكان مقر حكمها سايس.

وهذه الأسرة تنحدر من الأسرة الرابعة والعشرين. إبسماتيك الأول كان من أحفاد با كن رع نف، وبعد الغزوات الآشورية في عهد طهارقة وتنتاماني، اعترف به كملك أوحد على كل مصر. ولدى انشغال الدولة الآشورية بالثورات والحرب الأهلية مول السيطرة على العرش، قام بسماتيك بقطع صلاته بالآشوريين، وعقد تحالفات مع غيغس ملك ليديا، وجند مرتزقة من كاريا واليونان لمقاومة الغارات الآشورية.
ومع تدمير نينوى في ٦١٢ ق.م. وسقوط الدولة الآشورية، حاول بسماتيك وخلفاؤه إعادة بسط نفود مصر في الشرق الأدنى، إلا أنهم رُدوا بواسطة البابليين بقيادة نبوخد نصر الثاني. وبمساعدة المرتزقة اليونانيين تمكن وح إب رع من صد محاولات البابليين لغزو مصر. إلا أن الفرس هم من تمكنوا من غزو مصر.

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة :العاشرة

حضارة بلاد الشام

حضارات بلاد الشام

تضمّ منطقة بلاد الشّام أو كما تُعرَف بسوريا القديمة كلاً من: الأردن، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، وتمتدّ من سواحل البحر الأبيض المتوسط غرباً لتصل إلى الجزيرة السوريّة من الجهة الشرقيّة، والجدير بالذكر أنّ المنطقة كانت موطن الكثير من الحضارات عبر التاريخ، منها: الآراميّة، والفنيقيّة، والكنعانيّة، والأشوريّة، والأكادية، مشكلة بذلك حضارة بلاد الشّام.

أسباب نشوء الحضارة في بلاد الشام

تعدّدت الأسباب والمميّزات التي ساهمت بنشوء الحضارة في بلاد الشام، من أهمّها موقع بلاد الشام المتوسط بين دول الشرق الأوسط، والذي كان حلقة وصل بين العديد من الحضارات النهريّة

أي الحضارات الواقعة على الأنهار، كحضارة الرافدين، وحضارة وادي النيل، والحضارات البحريّة المارّة بالبحر الأبيض المتوسط، كالحضارة اليونانيّة، كما ساهمت الممرات الطبيعيّة في سوريا، والتي تتخطّى كلّ الطرق البريّة الواقعة ما بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربيّ بعبور العديد من الهجرات المُختلفة زمنيّاً، وقد أثّر كلّ ذلك على الحضارة وتاريخها، وعلى صعيدٍ آخر، لَعِبت طبيعة وجغرافيّة بلاد الشام دوراً أساسياً وسبباً لتعاقب الحضارات المُختلفة على أرضها، حيث امتازت بوجود العديد من البحيرات، والأنهار، والجبال، والسهول، والأشجار المتنوّعة، بالإضافة للينابيع والعيون المائيّة، فضلاً عن ذلك، تمتعت بلاد الشام بخصوبة وجودّة تربتها، والذي أدّى بدوره إلى وفرة الإنتاج الزراعيّ.

أهم حضارات بلاد الشام

تعاقبت على بلاد الشام العديد من الحضارات، وهي كما يأتي

الآموريون

يتألّف الآموريون أو ما يُعرف بالعموريون من مجموعة من الشعوب السامية الغربية التي هاجرت بوقتٍ مبكّرٍ من شبه الجزيرة العربية، ويقال إنّ سكان العراق القدامى من السومريين والأكديين هم أوّل من أطلق عليهم اسم الآموريون، وهي مُشتقّة من كلمة "أمورو" (عمورو) في اللغة الأكدية السامية، وكلمة "مار – تو" في اللغة السومرية، واللتان تُشيران إلى جهة الغرب، وقد تمركزوا بدايةً في الأقسام الشماليّة من بلاد الشام، وبعدها بدأوا بالانتشار والامتداد إلى سوريا، ولبنان، وفلسطين، وممّا يُذكَر أن أصل كلمة "لبنان" يعود إلى الآموريين، والأمر نفسه في "صيدون" و"عسقلان". أنشا الآموريون في بلاد الشام العديد من الإمارات المهمة كإمارة ماري (تل الحريري)، وقَطَنة، وأرواد، وحماة، ودمشق، وجبيل، والبترون، وهداكو (حلب)، ووفقاً للعديد من الوثائق التاريخية فقد تمّ فرض السيطرة على المنطقة الواقعة بين مرتفعات عيلام والبحر الأبيض المتوسط من قِبل الأُمراء الآموريين عام ١٨٠٠ ق.م، ويشار إلى أنّ آخر ملوك ماري قُضيَ على مملكته من قِبل الملك حمورابي، وذلك وفقاً لما هو موجود في وثائق (ماري) التي تتضمن أكثر من ٢٠٠٠٠ لوح مسماريّ مكتوب باللغتين الآمورية واللغة السامية الغربية، والألواح المحفوظة (زمري ليم) التي تعود في تاريخها إلى (١٧٣٠ إلى ١٧٠٠) ق.م.[٦] وقد عايشت الحضارة الآمورية العديد من الثقافات الحضارية؛ وذلك بسب انتشارهم في العديد من الأماكن المتباعدة، وعموماً كانت طبيعة الحياة البدوية بما فيها تربية المواشي والأغنام هي التي تغلب عليها قبل الاستقرار، وكانت الحمير هي الوسيلة الرئيسيّة لحمل الأمتعة والتنقُّل من مكانٍ لآخر، بخلاف الشعوب البدوية الأخرى التي كانت تعتمد على الجمال، ومن ناحية أخرى تميّز الآموريون بالفخار وصُنع أدوات الزينة التي تختلف عن فخار وأدوات باقي الشعوب، واشتهروا بالصيد، واستخدامهم للأسلحة الحديثة، كما عُرِفوا بالتشريع، والذيّ يدل على فهمهم لجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتُعد شريعة حمورابي الشهيرة أهمّ الأمثلة المشهورة على التشريعات لديهم.

الكنعانيون

يُعدّ الكنعانيون الجماعة السامية الثانية التي استوطنت بلاد الشام، وسُمّي الكنعانيون بهذا الاسم نسبةً إلى جدّهم (كنعان)، وذلك تماشياً مع عادات القبائل العربية التي كانت تعتمد في تسمياتها على أسماء أبائهم، ويذكر البعض أنّ اسم بلاد كنعان يُشير إلى الأراضي السهلية الواقعة على ساحل الخليج العربي، ويرى آخرون أنّ اسم كنعان مُشتقّ من أصولٍ سامية، هي (خنع، قنع، كنع) والتي تدل على الأراضي المنخفضة بالرجوع إلى أصل الكلمة العربي، والجدير بالذكر أنّ الكنعانيين يتحدّثون لغةً مشابهة للغة الشعب الآرامي، وينتسبون إلى موجة هجرة واحدة،[٦] فقد هاجر كلٌّ منهماً معاً عام ٢٥٠٠ ق.م إلّا أنّ الكنعانيين استوطنوا في سوريا الجنوبية،[٧] وهم أول الشعوب التاريخية المعروفة التي سكنت تلك المناطق.[٨] يعتبر الكنعانيون أول الشعوب التي بنت حضارةً على أرض فلسطين،[٨] كما يرجع إليهم الفضل في تأسيس العديد من الممالك، مثل: طرطوس، وصور، وصيدون، وحبرون، وبيبوس، ومدين، وعكو، وبيسان، وعمون، وبيروت،[٧] ولا بد من الإشارة إلى كونهم أكثر الشعوب السامية اهتماماً بالفن والموسيقى، إلى جانب الزراعة والعديد من الصناعات، كصناعة الخزف، والنسيج، والثياب، والزجاج، والتعدين، وفن العمارة.

الفنيقيون

يرجع الفنيقيون في أصولهم إلى نفس القبيلة التي جاء منها الأموريون، ويُذكر أنهم استقروا بعد هجرتهم من شبه الجزيرة العربية في بلاد الشام مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، بينما يرى المؤرّخ الإغريقي هيرودوت أنّهم جاءوا من منطقة البحر الأحمر. وقد استقرّ الفينيقيون على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، حيث يمتد موطنهم من جهة الشمال عند مصب نهر العاصي إلى نهر بيلوس (نهر عكا) جنوباً في فلسطين، ويحدهم من الشرق سلسلة جبال لبنان وجبال اللاذقية يوجد العديد من الآراء حول سبب تسمية الفنيقيين بهذا الاسم، فيرى بعض المؤرخين أنّ كلمة فينيقا تعود في أصلها إلى كلمة (Phoinix) اليونانية، والتي تدلّ على اللون الأرجواني، الذي اشتُهرت به المنطقة بسبب صناعة الأصباغ، والبعض يرى أنّها تُشير إلى طائر الفينيق الأحمر، وهناك من يرى أنّ الاسم مشتَق من الكلمة اليونانية (فينقس) التي تعني شجرة النخيل المتواجدة بكثرة في أراضي فينيقيا. عُرِف الفينيقيون بصيد السمك، وبالعديد من الصناعات، كصناعة الأقمشة الصوفية ذات اللون الأرجواني، وبسبب توفر الرمل الناعم كثرت صناعة الزجاج، كما اشتُهروا بالتجارة، وقد ساعد موقعها الجغرافي بجوار سواحل البحر المتوسط على ذلك، فكان موقعها بمثابة حلقة وصل بين مناطق العالم القديم، لوقوعه على الطريق التجاري الذي يربط بين كلٍّ من مصر والأناضول، والطريق الذي يربط بين بحر إيجة وبلاد الرافدين، هذا إلى جانب ازدهار تجارة الأخشاب، بسبب توفّر أشجار السرو، والصنوبر، والأرز المناسبة لصناعة السفن

الآراميون

يُعدّ الآراميون الجماعة السامية الثالثة التي استوطنت بلاد الشام، وهم قبائل بدوية هاجرت من إحدى مناطق الصحراء السورية العربية، وانتشروا في بلاد ما بين النهرين، وبعدها استقرّوا في حرّان، ومع بداية القرن ١٤ ق.م هاجروا إلى بلاد الشام، وأسّسوا العديد من الممالك في المنطقة. أطلق الأشوريون اسم أرومو وأرامو على سكان بلاد آرام، ويعود اسم أرام في تاريخه إلى عام ٢٢٥٠ ق.م إلى عهد نارام سين، ويُعتقَد أنّ جد الآراميين هو آرام خامس أبناء سام بن نوح، وأنّ

اسم الآرميين يعود إليه. وقد اشتُهِر الآراميون بالتجارة، حتى أنّهم احتكروا تجارة الهلال الخصيب الداخلية لفترة زمنية طويلة، ويُعدُّ الكتّان والعاج الأفريقي، والأرجوان الفينيقي، ولؤلؤ الخليج الفارسي أشهر تجاراتها، والجدير بالذكر أن الموازين البرونزية الخاصّة بهم ولا زالت موجودة في لبنان، وفلسطين، وسورية، والعراق، والتي تعدّ شاهداً على تاريخهم التجاريّ

المصادر

موسوعة تاريخ بلاد الشام الحضارية / رياض العماري

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الحادية عشر

ابرز انجازات المصريين في مجال العلوم والحياة العقلية

١- أرخ المصريون القدماء الحوادث الكبرى في حياتهم او حياة فراعنتهم
٢- عرف المصريون علم الحساب وعلم الهندسة وذلك لحاجتهما في امور الادارة وتنظيم المقاييس خصوصاً في بناء الاهرامات
٣- عرف المصريون القدماء اشارات الاعداد من ١-١٠-١٠٠-١٠٠٠-١٠٠٠٠ وعرفوا الكسور والجمع والطرح الا انهم جهلوا العمليات الحسابية الاخرى
٤- اهتم المصريون بعلم الفلك وخصوصاً الكهنة المهتمين بعبادة إله الشمس (رع)
٥- قيام المصريون بضبط الدورة السنوية الشمسية (الرزنامة)
٦- اهتم المصريون اهتمام واسع وكبير في مجال الطب وبلغوا شهرة كبيرة اعترفت لهم بذلك الامم المجاورة
٧- ألفوا كتب طبية مقدسة محفوظة في المعابد

٨- تطور العلوم الطبية عند المصريين القدماء كعلم التشريح واللصقات وزيت الخروع والاعشاب كما اختصوا بطب العيون والاسنان والبطن

٩- اوجدوا العقوبات الطبية للاطباء اذا خالفوا القوانين

١٠- أثر السحر والتعاويذ والتمائم في الحضارة المصرية تأثيراً كبيرا

الادارة :- وهي من ابرز الاوجه الحضارية لوادي النيل وتعتبر من العوامل المهمة في تكوين المجتمع المصري القديم كنتيجة لنظام الحكم الملكية والطبقات والعائلة

ابرز الوظائف في تاريخ مصر القديمة

أ- **الوزير** :- وهو شخصية حكيمة تساعد الملك في تنفيذ سلطاته وأوامره ومن **ابرز واجباته** :-

١- تخضع له إدارة جميع المتصرفيات

٢- يشرف على القضاء والمحاكم بصفة قاضي القضاة

٣- تحت أمرته مجلس المستشارين العشرة

٤- أدارة مخازن الحبوب والهيمنة على شؤون الزراعة

٥- الاهتمام بإدارة الحقول وجمع الحاصلات لتأمين معيشة السكان وتجنب المجاعة

ب -مجلس المستشارين العشرة ومن ابرز واجباتهم :-

١- يشرفون بأمر الملك على إدارة الجنوب متصرفيات (مصر العليا)

٢- ينفذون أوامر الملك التي تأتيهم عن طريق الوزير في إدارة الاعمال العامة كشق الترع وفتح الطرق وأنشاء المعابد والجسور وجمع الضرائب وتعبئة الجيوش وقيادتها لأخماد الفتن والثورات التي تنشب في مقاطعاتهم

٣- الاشراف على مناطق الصحراء لتأمين سير القوافل فيها

٤- القضاء على اعمال اعمال التمرد ثم إدارة شؤون النيل كمراقبة فيضاناته وتأمين النقل فيه والحيلولة دون دخول العبيد الى بلاد وادي النيل

ج – رئيس مجلس المستشارين العشرة :– وهو الذي اصبح يزاحم الوزير في سلطاته ونفوذه في كثير من الاحيان يزاحم الملك نفسه

د- الامين :– وهو موظف لدى الدولة المصرية القديمة يشرف على الديوان الخاص بحفظ الرسائل والوثائق التي تكتب بنسختين تحفظ كل منهما في عاصمة الشمال وعاصمة الجنوب ويسمى بـ(الامين الاعلى) لخزانة الكتب والرسائل والوثائق وله عدد من الكتاب يساعدونه في حفظ هذه المدونات وتصنيفها وتسجيلها

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : **تاريخ البلاد العربية**

المرحلة : **الثانية**

قسم التاريخ

مدرس المادة : **د. إنعام حميد شرموط**

المحاضرة : **الثانية عشر**

التحنيط :– هو عملية معقدة يقوم بها الكهنة للمحافظة على جثة المتوفي من التلف ويسمى الجسم المعالج بالمومياء ، وقد برع المصريون القدماء فيه وكانت سراً من اسرارهم الخاصة بهم وبهذه العملية استطاعوا حفظ الجثة سليمة لتحل بها الروح وتعيش ثانية للابد وتحفظ جثت المتوفي بواسطة مواد كيميائية فيحافظ جسم الانسان على مظهره ويبدو وكأنه حي وذلك لاسباب طبية او تزينية بالاضافة إلى أنه يفي بمتطلبات بعض الديانات التي تؤخر الدفن لعدة ايام او تضطر لنقل الجثة إلى مكان آخر فيمنع التحنيط تعفن الجثة ، والتحنيط كلمة عربية الاصل اشتقت من كلمة الحنوط وهي مواد

الحفظ التي كان لها خاصية عطرية والحنوطي هو الشخص الذي يقوم بغسل الميت وتكفينه ، والتحنيط عملية باهضة الثمن تمارس على جثث الملوك وكبار رجال الدولة والاغنياء

اهم المواد التي تستخدم بالتحنيط

الملح – الجير – شمع النحل – القرفة – الحناء – زيت الارز – الخل – العسل – عرق النخيل – البصل – نشارة الخشب – الصمغ

تاريخ التحنيط :- للتحنيط تاريخ طويل في مصر القديمة حيث كانوا يجففون اجسام الموتى بالشمس ثم يلفونها بالجلود والحصران ويدفنونها في القبر كان المصريون يفتحون بطن الميت ويخرجون الاحشاء الداخلية عدا القلب ويجففون الجسم بالشمس ويملحونه ثم يلفونه بقطع الكتان وهذه الطريقة هي طريقة بدائية للتحنيط تطورت العملية فيما بعد حسب مكانة المتوفي فطريقة تحنيط الملوك والامراء والاغنياء تختلف عن تحنيط الانسان العادي

ابرز خطوات التحنيط :-

١- استخراج المخ من الرأس :- وذلك عن طريق فتحة الانف حيث توضع مادة تحول المخ الى سائل لكي يخرج من فتحة الانف
٢- شق البطن :- بواسطة شفرة رقيقة وحادة من خلال فتحة في الجانب الايسر
٣- المحنط :- يأتي دور والذي يدخل يده في فتحة البطن ليخرج منها الاحشاء عدا الكليتين والقلب ثم تحشى بالكتان المشبع بالمواد العطرية وبالصمغ
٤- الاحشاء :- تغسل الاحشاء بنبيذ النخيل والمواد العطرية ثم تلف بالضمادات وتحفظ في اوعية خاصة تسمى اواني الاحشاء وهي اربع اواني من المرمر

٥- تسد فتحة البطن بالشمع المذاب او الصمغ كما كانت تسد بالمواد نفسها فتحات الانف والعينين

٦- عملية التجفيف وهي اهم خطوة لضمان صيانة الجسد

٧- عملية تنظيف الجسد وغسله بمحلول الملح وبالزيوت العطرية اما الاصابع فكانوا يصبغونها بالحناء وقد استخدموا حوالي ١٣ مادة لاتمام عملية التحنيط

واخيراً تتم عملية التنظيف والغسل والتطهير والتضميد بشرائط كتانية عديدة مغموسة في الصمغ وبعد ذلك يلف الجسد المحنط بأكمله وبقية الاعضاء بلفائف من الكتان ثم يوضع القناع على الوجه واستخدام شمع العسل لاغلاق الانف والعينين والفم وشق البطن ثم تلوين الشفاه والخدود بمستحضرات تجميل وبعد اتمام عملية التحنيط تجري عملية التزيين فتغطى المومياء بالحلي والعقود والقلائد والتمائم والاساور والخواتم وذلك بعد كتابة الاسم عليها والالقاب وبعض الفقرات من النصوص الدينية من كتاب الموتى حيث توضع في بعض الاحيان نسخة من كتاب الاموات بين ساقي الجسد لارشاد الميت في حياته الثانية كما يعتقدون

ويدرس حالياً علم التحنيط في جامعة اوكسفورد في بريطانيا ويدرس في كليات الصيدلة بجامعات مصر علماً ان التحنيط محرماً في الاسلام والديانات السماوية الاخرى

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن

المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الثالثة

عصور ما قبل التاريخ

وينحصر عصر ما قبل التاريخ المصري في المدة التي بدأ الإنسان يظهر فيها في وادي النيل إلى بداية الأسرة الأولى حوالي ٣٢٠٠ق.م.

وقد أسفرت البحوث التي قام بها العلماء في مدة الأربعين عامًا الأخيرة عن تقسيم هذا العصر الطويل إلى ثلاثة أقسام رئيسية، ولا يزال العصر الأول منها غير معترف به من كل رجال هذا العلم؛ إذ البعض يُقِرُّه وطائفة منهم تنكره:

- **العصر الأول:** ويطلق عليه اسم عصر ما قبل الحجري القديم «الأيوليتي»، وقد استعملت فيه أحجار الظِّرَّان كما وجدت في الطبيعة مع بعض التهذيب.
- **العصر الثاني:** ويطلق عليه اسم العصر الحجري القديم «الباليوليتي» هو عصر استعمال الحجر المهذب تهذيبًا بسيطًا بعد القطع، ومنه يتفرع العصر الحجري الحديث «النيوليتي»، وهو عصر الحجر المصقول بعد التهذيب.

- **العصر الثالث:** الذي ظهر فيه استعمال المعادن، ويطلق عليه عصر بداية استعمال المعادن «الأنيوليتي»، وقد استعمل في هذا العصر الحجر والنحاس والحديد لعمل الآلات جنبًا إلى جنب،

عهد فجر العصر الحجري القديم»

لا جدال في أن الإنسان الأول عندما ظهر على سطح البسيطة، كان أول هم له أن يجد لنفسه سلاحًا يدافع به عن كيانه ضد الحيوانات التي كانت تحيط به ويعيش في وسطها، ولا بُدَّ أن أول ما فكر فيه من الأسلحة ما كان في متناوله، فمثلًا كان يقطع فرع شجرة ويهذبه ليدافع به عن نفسه، وكذلك كان يجمع ما حواليه من الأحجار الصلبة التي هيأتها له الطبيعة، ثم يهذبها بنفسه بعض الشيء ليجعل لها حدًّا قاطعًا ويستعملها في أغراضه،

وفي استطاعة الإنسان في مصر أن يجمع قطعًا عدة من آلات هذا العصر من هضبة الصحراء، ولكنها كذلك مشكوك في تاريخها، وسبب ذلك يرجع إلى أن فعل المؤثرات الجوية مثل الحر والبرد وتعاقب الليل والنهار، يحدث تفتت قطع من الظِّرَّان جديدة تشبه القطع الأيوليتية القديمة، وقد جمع الأستاذ «شفينفورت» قطعًا كثيرة من هذا النوع من محطات أبواب الملوك. على أن كثيرًا من هذه القطع يظهر فيها فعل يد الإنسان، ولكنا نجدها مختلطة بآلات من العصر التالي لهذا العصر، وهو ما يسمى العصر الباليوليتي (العصر الحجري القديم)، وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها من عصر أقدم، والواقع أنه لا توجد محطة مصرية قديمة أو حديثة إلا وفيها آلات صنعتها يد الإنسان وقطع من صنع الطبيعة نفسها، ثم استعملها الإنسان بمهارة، ولا نزاع في أن المبدأ القائل بالاقتصاد في استعمال القوى الإنسانية في الإنتاج، قد لعب دورًا عظيمًا في حياة الإنسان الأولى في مصر، كما كان الحال في البلاد الأخرى، ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الإنسان كان يستعمل القطع الطبيعية في الاستعانة بها على قضاء أغراضه في أول نشأته وفي فترة عدم درايته بالصناعات.

العصر الحجري القديم

هذا العصر يعرف بعصر استعمال الحجر المهذب، وينقسم ثلاثة أقسام: وهي الحجري القديم الأسفل، ويشمل ما يقابله في أوروبا من الصناعات الشيلية[١] والآشيلية،[٢] ثم العصر الحجري القديم المتوسط، وفيه تسود الصناعات، الموستيرية Mousterienne[٣] وأخيرًا العصر الحجري القديم الأعلى، وقد سادت فيه الصناعة الأوريجناسية Aurignacienne[٤] ثم الصناعة السولوترنية Solutereenne[٥] ثم الصناعات المجدلية Magdalenienne.[٦]

العصر الحجري الحديث

ويتلو العصر السالف عصر بداية المعادن، وهو عصر استعمال الحجر المصقول بعد التهذيب، وهذا العصر أقسامه مرتبكة ولا ضرورة للخوض فيها الآن.

عصر بداية استعمال المعادن

وهو عصر الانتقال؛ إذ في خلاله بدأ الإنسان يستعمل المعادن، وقد توالى فيه استعمال النحاس والذهب ثم البرنز فالحديد، على أن عهد استعمال الحديد في مصر كان شاذًّا بالنسبة للبلاد الأخرى، وذلك أن مصر في عهد أوج مجدها وسؤددها التاريخي بدأ يُستعمل هذا المعدن فيها، ولم يكن معروفًا من قبل.

مدينة العصر الحجري القديم

يعد هذا العصرُ العهدَ الذي وُجد فيه أول أثر لبقايا الإنسان؛ إذ عثر فيه فعلًا على بعض عظام بشرية وعلى الآلات التي كان يستعملها الإنسان، غير أنه من المستحيل علينا أن نحدد في أي عهد وقبل أي عدد من آلاف السنين قبل الميلاد ظهر الإنسان في العالم، وكل ما يمكن الجزم به في هذا الموضوع هو أن وجود الإنسان على ظهر البسيطة يرجع إلى أزمان سحيقة جدًّا، والتقديرات المعتدلة ترجع بظهور الإنسان إلى آلاف عدة من السنين، وفي خلال هذا العصر الطويل جدًّا قد حدثت تغيرات وتقلبات عظيمة ظاهرة جلية لا تقتصر على شكل الآلات وصناعتها ولا شكل الإنسان الذي كان يستعملها فحسب، بل تتناول كذلك التقلبات الجوية التي كانت تحيط به والتي كان من أثرها أن حدث تغير كلي في الحيوان والنباتات التي كانت تعيش وتنبت فيه، وهذا العصر الذي نحن بصدده يقع في أوائل الزمن الجيولوجي الرابع، وفيه حدثت في الجو تقلبات من بارد إلى حار كما أثبت ذلك علماء الجيولوجية.

ويتميز هذا الزمن بزحف الجليد الذي غمر الجبال الشامخة ثم تقهقر ثانية مما كان يسبب انخفاض درجة الحرارة، وكل ما يهمنا في ذلك هو أن العصر الحجري السفلي قد بدأ في نهاية عصر حدث فيه تقهقر جليدي، على حين أن العصرين الحجري المتوسط والأعلى يتفقان مع الزمن الجليدي المتتابع، وبظهور العصر الحجري الحديث تبتدئ فترة تقهقر جليدي جديدة لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

العصر الحجري القديم السفلي

يمتاز هذا العصر بجو حار رطب يشبه جو المناطق الاستوائية الآن، غير أنه كان يميل إلى البرودة التدريجية، وهذه الحالة في أوروبا تنطبق على أفريقيا الشمالية أيضًا، على أن الوصف الذي أوجزناه عن القطر المصري في فجر عصر ما قبل التاريخ يمكن تطبيقه على الأقاليم الواقعة شمال حوض البحر الأبيض المتوسط، ولدينا براهين عدة من حفريات العظام التي استخرجت من رواسب الزمن البلستوسيني (الزمن الرابع)، وقد عرفنا أنه كان ينمو في أوروبا في ذلك العهد حيوانات من ذوات الثدي، في وسط غابات كثيفة وعلى شواطئ مجاري مياه، وكانت عظيمة الحجم مثل جاموس البحر ووحيد القرن، والفيل الضخم والدب والضبع والغزال والحصان وغزال الأركس. وقد اختفى كثير من هذه الحيوانات الآن، على حين أن بعضها قد هاجر فيما بعد نحو الأقطار الاستوائية هاربًا من شدة البرد الذي اكتسحه في الزمن الذي تلى هذا العهد.

وعثر على بعض بقايا بشرية مختلطة ببقايا حيوانات معاصرة، غير أن ما عثر عليه لم يكن إلا أجزاء من جماجم مثل فك «مور»٧ المشهور أو بعض عظام بسيطة، وقد سهَّل جو هذا الزمن المعتدل للإنسان أن يعيش في الهواء الطلق على شواطئ الأنهار والبحيرات أو في الغابات، وكان هذا الإنسان يتخذ أكواخًا من فروع الأشجار مسكنًا له. أما مقابرهم فيظهر أنها قلبت رأسًا على عقب بفعل الفيضانات التي كانت تخرِّب هذه الجهات تخريبًا ذريعًا، ولذلك لم يعثر منها على آثار تُذكر، مع أن هذه البقايا الضئيلة التي عثر عليها في الرواسب — وهي بلا شك — ذات قيمة عظيمة، قد عرفنا منها أن الجنس البشري في ذلك الوقت كان منحطًّا جدًّا، غير أن عدم العثور على هيكل تام لم يمكننا من إعطاء رأي قاطع في تركيبه الطبعي.

أما عن صناعة هذا العصر فإن معلوماتنا قد زادت؛ لأن بعض المواد التي استعملها إنسان ذلك العصر تكاد تكون غير قابلة للتلف رغم مر العصور. حقًّا إن الدبابيس ذات القبضة المصنوعة من الخشب، لم تحفظ لنا كغيرها من الأشياء المصنوعة من المواد القابلة للعطب مثل جلد الحيوان ولحاء الأشجار، التي كان يستعملها ذلك الإنسان غطاء له، ولكن أسلحة الصيد والحرب وكذلك الآلات التي كان يستعملها في سلخ فريسته كانت مصنوعة من حجر صلب وأرهف حدها، وقد قاومت هذه الآلات تأثير الزمن وبقيت إلى عصرنا هذا، وقد عثر عليها مهملة على شواطئ الأنهار مدفونة تحت طبقات سميكة من الحصا الذي دحرجته تيارات الماء السريعة معها، وكان إنسان ذلك العصر عندما يعوزه الظِّرَّان وهو أهم مادة لصنع آلاته، يستعمل بدلًا منه الكورتسيت أو الأحجار البركانية أو الحجر الجيري الأبيض الصلب، وأهم آلة كانت مستعملة في هذا العصر هي «البلطة» الغليظة البيضية الشكل، وقد تكون مثلثة ذات شفرات حادة تتصل بحد مرهف قاطع، وتصنع هذه الآلة من قطعة من الظِّرَّان طبيعية على شكل الكلى، وذلك بإزالة شظايا متعادلة من حروف قطعة الظِّرَّان هذه بوساطة أزميل، وهذه الآلة كانت عظيمة الخطر في يد المحارب، على أنها كانت كذلك تستعمل لأغراض أخرى، ويوجد نوع منها لم يهذب إلا من أحد وجهيه ويستعمل كمقطع لتخليص العظام من اللحم ولسلخ الجلود.

وخلافًا لهذه الآلات التي يطلق عليها ذات الوجهين Bifaces، والتي قد تصل أحيانًا إلى حجم عظيم، فإن إنسان هذا العصر استعمل شظايا بسيطة كان يحصل عليها بقطع كلية من الظِّرَّان تهمل نواتها في النهاية، ويلاحظ دائمًا أن كل شظية تقطع بهذه الكيفية فيها بروز مستدير عند النقطة التي وقع عليها الكسر، الذي يترك أثرًا على هيئة تجويف في النواة نفسها، وهذه العلامة تعد بمثابة خاصية مميزة للمصنع الذي صنعت فيه، مما يثبت لنا أن هذه الشظية قد قطعت وهذبت قصدًا وذلك مما لا يوجد في الشظايا الطبيعية.

وهذه الشظايا مرهفة الحد كالموسى القاطع، ولذلك كانت تستعمل بدلًا من السكاكين، وأحيانًا تستعمل كمشط، وذلك بعد إجراء بعض إصلاح في أحد وجهيها أو في نهاية الشظية، وهذه الإصلاحات أو «الرتوش» لا تتناول الوجه العلوي من الشظية، ولذلك يطلق عليها اسم الآلات ذات الوجه الواحد، وكذلك يدخل تحت هذا النوع من الآلات ذات الوجه الواحد الشظايا التي كانت تصنع بهذه الكيفية، لتحضير الجلود والعظام التي كان يستعملها إنسان هذا العصر.

أما عن أخلاق هذا الإنسان وعاداته، فإنا لا نكاد نعرف عنها شيئًا قط، اللهم إلا أنه كان لا يختلف كثيرًا عن قبائل الأقزام الذين يتجولون في الغابات الاستوائية، ويعيشون على صيد البر والبحر.

وإذا كنا لا نعرف شيئًا عن هذا الإنسان من الوجهة الاجتماعية أو الخلقية والدينية، لأنها لا تزال موضع تخمين، إلا أننا من جهة أخرى يمكننا أن نحكم عليه من الآلات التي صنعها، والتي هي الآن في متناولنا؛ إذ تبرزه لنا كإنسان راقٍ يسيطر بذكائه على الحيوان الذي يشن عليه الحرب يوميًّا، يضاف إلى ذلك أنه كان في قدرته أن يخترع ويحسن كل ما هو في متناوله، فقد عرف كيف يوقد النار ويطهو طعامه، هذا رغم أنه كان لا يعرف إلى هذا الوقت صناعة الفخار، واستعداد هذا الإنسان وقدرته على أسباب الرقي يظهر جليًّا عندما ننتقل من طبقة إلى أخرى في القطاعات التي بحثت في الأماكن التي يرجع عهدها إلى العصر الحجري القديم، فمثلًا نلاحظ أن البلطة الثقيلة الخشنة الصنع التي توجد في أسفل طبقة من العصر الحجري تخفُّ تدريجيًّا في الطبقات العلوية، ويحل محلها آلات أحسن صنعًا، وبذلك تختفي الصناعة الشيلية الخشنة أمام الصناعة الآشلية التي أنتجت آلات تعد من فرائد الفن.

العصر الحجري الحديث

على أن العصر الحجري الحديث نفسه مرتبط تمام الارتباط بالعصر الذي يليه، وهو عصر بداية استعمال المعادن، ولا يتميز العصر الحجري الحديث عن عصر بداية المعادن بوجود معادن مختلفة في كل، فالواقع أن النحاس والذهب كانا موجودين في كليهما غير أنهما كانا يستعملان في العصر الأول أدوات للزينة وبدرجة محدودة. أما في العصر الثاني فكانا يستعملان في أغراض شتى وبدرجة عظيمة وبخاصة النحاس، فإنه كان يستعمل في صنع الآلات بدلًا من الظِّرَّان، ويعد علماء الجيولوجية أن العصر الحجري الحديث يبتدئ في نهاية العهد البلوستسيني وبداية العصر الهيلوسيني؛ أي العصر الرابع في تكوين القشرة الأرضية، وهذا العهد هو في الحقيقة فجر الأزمان الحديثة؛ إذ فيه أخذت أحوال الحياة العامة للإنسان تتغير تدريجًا عن أحوال الحياة التي يخضع لها بنو البشر في أيامنا هذه.

وتتفق بداية العصر الحجري الحديث مع عصر تقهقر الجليد الذي ظل إلى يومنا هذا، ففي أفريقيا الشمالية أخذ الجو يصير أكثر جفافًا وأشد حرارة من العصر السابق، وقد أخذ ذلك يظهر في الهضاب الصحراوية التي بدأت تتكون منذ العصر الحجري القديم الأعلى. والواقع أن قلة الأمطار وشدة التبخر سبَّبَا نقصًا محسوسًا في نظام المياه، ولكن على الرغم من ذلك بقيت بعض جهات الصحاري معمورة، وبخاصة الأماكن التي حول عيون الماء والبحيرات التي تكونت من مجاري مياه ضئيلة. أما باقي الجهات فقد انقلبت فيها الغابات اليانعة التي كانت تسبغ عليها بهجة ورونقًا إلى أرض عشبية لا يستطيع الإنسان أو الحيوان البقاء فيها، وفي خلال هذه المدة أخذ وادي النيل يكوِّن ببطء شكله الحالي، وكذلك بدأ النهر يسير في النظام الذي هو عليه الآن، وقد كان هذا النهر في خلال تكوينه يترك رواسبه في الوادي الذي يغطيه بالمياه، ثم ينكمش تدريجيًّا حتى أصبح على ما هو عليه الآن؛ إذ كان في كل عام يفيض على جانبيه في تاريخ معين لمدة ثلاثة أشهر، ويترك الغرين الذي يجلبه معه من منابعه مما يكسب الوادي خصبًا، وعند انتهاء هذا الفصل ينكمش مجرى النيل، ثم يترك مجموعة من المستنقعات على حافة الصحراء حيث قد خلفت مياهه الجزء الأعظم من الغرين على السهل، وفي هذه المستنقعات كانت تنبت بكثرة النباتات المائية وبخاصة السَّقي «البردي» الذي كانت تأوي إليه الحيوانات الخطرة كجاموس البحر والتمساح، أما باقي السهل فكان يغطى كل عام بنباتات يانعة تنعدم وتزول بسرعة في خلال تسعة الأشهر التي كان الحرُّ فيها مهلكًا، وكانت مخلفات هذه النباتات تئوي الحيوانات والحشرات المؤذية، وقد تكونت في مصب النهر القديم المعروف بالدلتا طبقات غرين وكانت لانخفاضها مؤلفة من مستنقعات عدة مزدحمة بالبردي ولم تكن حدودها معينة، وذلك بسبب البرك التي تغمر معظمها.

أما مساكن الإنسان منذ بداية هذا العصر فإنها تتمشى مع التغيرات الجوية التي سنبينها، فقد هاجر إلى وادي النيل بجوار مجاري المياه الغزيرة التي لا تزال موجودة، كل سكان وديان البيداء وصحراء العرب، وهؤلاء كانوا البقية الباقية من قبائل أخذت تجوب في خلال الأزمان السالفة الجبال والهضاب التي كانت تغطيها الغابات البِكْر. والواقع أن العصر الحجري الحديث هو العصر الحقيقي الذي أهلت فيه مصر بالسكان.

أما القرى فكانت واقعة على المرتفعات البسيطة التي على حافة الوادي، وكان الجزء الخصب منه في هذا الوقت أقل انخفاضًا واتساعًا مما هو عليه الآن بعد أن غمره الغرين مدة اثني عشر ألفًا من السنين تقريبًا، ولا شك في أن هذه القرى قد غطيت الآن بالطبقات السميكة من الغرين، الذي لا ينفك يزداد من قرن لقرن ويمكن العثور عليها لولا أن ارتفاع منسوب المياه في الطبقات الأرضية، الذي نلاحظه الآن، يحول بيننا وبين الوصول إلى ذلك، وهي موجودة غائرة في سفح التلال أو المرتفعات الصناعية في كل المدن المصرية التي ظهرت في فجر التاريخ، وتقع عادة بعيدة عن النيل وقريبة من الصحراء، ويظهر لنا فيها أسس يرجع عهدها إلى العصر الحجري الحديث، ولحسن الحظ عثر على بعض قرى نيوليتية واقعة في الصحراء أخطأها غرين النيل، ونخص بالذكر قرية العمري، وهي «رأس حوف» القريبة من القاهرة، وقد سميت العمري نسبة إلى الأستاذ العمري الذي عثر عليها حديثًا، وقد مات وهو في ريعان شبابه، وكذلك مرمدة بني سلامة الواقعة على حافة الدلتا الغربية، ثم ديمة، وكوم أوشيم، وقصر الصاغة، والمواقع الأربعة الأخيرة في مديرية الفيوم. أما في الوجه القبلي فقد عثر على مدينة جديدة في بلدة «دير طاسا» وفي طوخ والقطارة والجبلين.

وأهم من هذه البلاد من الوجهة الأثرية المقابر التي من العصر الحجري الحديث فإنها محفوظة وواقعة على حافتي الصحراء على كِلَا جانبي النيل؛ إذ هي بطبيعة الحال بعيدة عن الفيضان، يضاف إلى ذلك ما يعثر عليه مهملًا على سطح الصحراء من بقايا الصناعات بالقرب من القرى والمقابر، مما يدل على الأماكن التي كان لا يزال الإنسان يصنع فيها الظِّرَّان.

ويمتاز العصر الحجري الحديث بأنه عصر نهضة الصناعة، وقد كان ذلك نتيجة تحول الإنسان في ذلك العهد من عيشة الصيد إلى عيشة الرعي وفلاحة الأرض، ولذلك قامت نهضة حقيقية في صناعة الظِّرَّان؛ إذ خلفت الأشكال المكرولية التي كانت في العصر الجفسي الأسلحة الكبيرة من الظِّرَّان، ويجب أن نشير هنا إلى أطراف الحراب والنصال المهذبة تهذيبًا جميلًا من كِلَا الوجهين، وكذلك سنان السهام المصنوعة برشاقة ودقة.

أما الآلة التي يتميز بها هذا العصر أكثر من غيرها، حتى إن اسمها أصبح أحيانًا يطلق على هذا العصر فهي الفأس المصقولة، وهي قطعة من الظِّرَّان على شكل الكلى المستطيلة وهي منحنية من أحد طرفيها لتصير قاطعة، وقد كان يركب فيها مقبض، ولذلك كانت تستعمل كفأس أو قَدُوم.

وبجانب الظِّرَّان كان يستعمل كذلك العظم في عمل أسنة الخطاطيف، ولعمل آلات كالمنحت أو المنقش والإبر لشغل الجلود، ومن صناعة هذا العصر كذلك النسيج وعمل الحصر والفخار الذي لم يعثر على أي نوع منه قبل هذا العهد، ومن المدهش أنه انتشر في هذا العصر بسرعة، وأصبح استعماله منتشرًا انتشارًا عامًّا، ففي مصر السفلى عثر في مرمدة بني سلامة على أقدم فخار عمله الإنسان دون استعمال أية آلة في صنعه، وأول نوع ظهر لنا كان خشن الصنع وليس عليه أي نوع من الزخرفة، اللهم إلا في القليل النادر، فإنه كان يشاهد على حافة الإناء أو مقبضه شريط محفور بالأصبع، وبجانب هذا الفخار ظهر نوع آخر دقيق الصنع لونه أحيانًا أحمر وأحيانًا أسود، وكان يصقل بكل اعتناء قبل حرقه، وأشكال هذا الفخار متعددة وتشمل كل أنواع الأطباق والأكواب والجرار والأباريق، ويلاحظ أن بعض هذه الأواني لها أزرار بارزة أو ثقوب في جوانبها، وذلك ليعلق فيها خيط تحمل به.

بدأ الإنسان في هذا العصر يعيش عيشة الرعاة والفلاحين، وأخذ يسكن القرى بعد أن كان جائلًا من مكان لآخر، وذلك يرجع لتغير حالة الجو في أفريقيا الشمالية، وقد نشأ عن هذا الجفاف المتوالي في

هذه الجهات، بسبب قلة الأمطار أن اختفت النباتات والأشجار التي كانت تنبت على الهضاب المترامية الأطراف تدريجًا، وكذلك أصبحت مناطق الصيد قليلة، ومن أجل ذلك أخذت القبائل في الأقاليم التي كانت تسكن فيها أو تجول في أنحائها تتنبه إلى خطر الجوع من قلة حيوان الصيد، فبدأت تربي الحيوانات القليلة الخطر كالثور والخروف والماعز والخنزير، لتكون ذخيرة لهم من اللحوم الحية، وكذلك أخذت القبائل تزرع الحبوب المغذية وبخاصة الشعير.

ولما ازداد جفاف تلك الهضبة الشاسعة، ولم تبقَ منابع ماء في صحراء العرب أو في صحراء لوبيا، أخذ أفراد القبائل النيوليتية يجتمعون في قرى في وسط أراضيهم التي يتعيشون منها برعي الماشية أو بالزراعة في وادي النيل، وكانوا لا يزالون يحترفون صيد البر والبحر وذلك اقتصادًا لمواشيهم الأليفة من جهة، وليقضوا على الحيوان البري المفترس، وعلى الحيوانات المائية الضارة مثل جاموس البحر الذي كان يعد خطرًا يهدد حياتهم على الدوام من جهة أخرى، غير أن الصيد لم يكن عندهم من الأمور الحيوية بل كان شيئًا ثانويًّا، والواقع أن هذه القبائل أصبحت أهل فلاحة بالمعنى الحقيقي، وكانت قرى العصر النيوليتي مؤلفة من عدد من العشش المنفصل بعضها عن بعض، ويحتمل أنها كانت مسورة بسياج مؤلف من الأوتاد حماية لها، وقد عثر على قرى من هذا العصر في مرمدة بني سلامة، وهي على نوعين مختلفين تمام الاختلاف، فبعضها يشبه عشش الفلاحين الحاليين التي تقام في وسط المزارع وقت الحصاد، وكانت العشة تتركب من جدران مصنوعة من الغاب يحفظها من التداعي أوتاد مثبتة في الأرض، وإذا كانت العشة مبنية من جهاتها الأربع كانت تأخذ في الغالب شكلًا بيضيًّا منظمًا بعض الشيء، وأحيانًا تكون هذه العشش على شكل ستارة مقوسة المنظر محكمة القفل من الجهة التي يهب منها الريح، وبخاصة الجهة الجنوبية الغربية أو الجهة الشمالية، ولا شك في أن وجود مواقد في هذه العشش وكذلك وجود أوان مصنوعة من الفخار يدل دلالة واضحة على أنها كانت تستعمل سكنًا للإنسان. وقد عثر بالقرب من هذه العشش على أسوار بيضية الشكل لا تزيد مساحتها عن متر في نصف متر تقريبًا، ويحيط بها جدار لا يزيد ارتفاعه عن نصف متر، ويستدل منه على أنه لم يكن فوقه مبنى آخر، ولا يبعد أنه كان يُستعمل مخازن لحفظ الحبوب، وكانت جدران هذه المخازن تقام من طين معجون كتل منه الواحدة فوق الأخرى على غير نظام، أما رقعة العشة فإنها كانت تغطى بطبقة من الطين المعجون، وكانت تحفر بعض الشيء على شكل صحن، وتجهز في الجزء المنخفض منها بإناء مثقب مثبت في الأرض لجمع المياه وتصريفها. أما أساس العشة فكان يثبت في الأرض على عمق لا يزيد عن خمسة وعشرين سنتيمترًا، وكان يوجد في العشش الممتازة قصبة ساق جاموس البحر مثبتة عموديًّا في الجدار الداخلي، لتكون بمثابة سلم لتسهيل الدخول فيها، وقد وجدت بقايا حصر كانت على أرض سطح العشة، ولا ريب في أن هذه الأكواخ أو العشش كانت تستعمل مأوى لأهالي مرمدة القدماء يحتمون فيها من العواصف والمطر، ويبيتون فيها ليلًا عند اشتداد البرد، ومن المدهش أنه لا يوجد في هذه العشش أي أثر من آثار الإنسان ولا آية آلة من الآلات التي كانت تستعمل في الحياة المنزلية. أما سقف هذه العشش القليلة الارتفاع، فكان يصنع من حصير سميك من الغاب يوضع أفقيًّا، وفي حالة واحدة عثر على مكان عمودين متقابلين في إحدى هذه العشش، ومن المحتمل جدًّا أنهما كانا قد وُضِعَا لأجل أن ينصب عليهما جلد حيوان لتغطية السقف، وربما كان ذلك أول محاولة لعمل خيمة يحمي إنسان هذا العصر فيها نفسه من زمهرير البرد وقيظ الحر.

أما في قرية العمري ـــ السالفة الذكر ـــ فإن عششها وجدت على شكل مستدير وفي وسطها موقد، وعلى مقربة من هذه العشش كانت تقام سلات عظيمة من الحصير المجدول لها غطاء، ومدهوكة بغرين النيل كانت تستعمل مخازن لحفظ الحبوب.

أما المدافن النيوليتية فكانت كالتي في مرمدة تحفر في القرية نفسها على مقربة من الأكواخ، وكانت تحفر كلها في مكان خاص ـــ كما هو الحال في العمري وفي كل الوجه القبلي ـــ بالقرب من القرية على حافة الصحراء بعيدة عن فيضان النيل، وكان كل قبر على شكل حفرة بيضية المنظر كالكوخ نسه، وكانت الجثة توضع راقدة على الجانب الأيمن غالبًا في قرى الوجه القبلي، أما في الوجه

البحري فكانت توضع على الجانب الأيمن مثبتة بحيث تضم الركبتان نحو الصدر في معظم الأحيان، أما وجه المتوفى فكان يتجه نحو المساكن، وقد عثر أحيانًا على جثث موضوعة على حصير أو ملفوفة في جلد أو حصير، وقد لوحظ في مرمدة بني سلامة أن يد المتوفى كانت توضع بالقرب من فمه، وأحيانًا شوهد أن إحدى أصابعه كانت في أسنانه، وكذلك لوحظ أن حبوبًا من القمح كانت مبعثرة في يده أو حول رأسه، وفي بعض المقابر عثر ضمن محتوياتها على أوان عادية ولوحة لطحن مادة الزينة وعلى آلات من الظِّرَّان، وهذه المقابر لم تكن فوقها مبان أخرى. هذا خلاف قرية العمري التي كان يعلَّم فيها القبر بعدة أحجار مكومة بعضها فوق بعض، وقد استعمل كثير من هذه المقابر لدفن أكثر من واحد من أفراد الأسرة، وفي هذه الحالة كان يجهز مكان في القبر للقادم الجديد، وذلك بجمع عظام الموتى القدماء ووضعها بعناية في جانب من القبر، وهذه العادات المأتمية التي تدل على أن القوم كانوا يعتقدون بحياة أخرى هي المصدر الوحيد لدينا عن معتقدات العصر النيوليتي، ولا يبعد قط أن تكون هذه العادات النيوليتية التي عثر عليها في هذه القبور، هي التي نهج على منوالها قدماء المصريين وبقوا يسيرون عليها في كل عصور التاريخ الفرعوني مع إدخال تحسينات عليها. أما من جهة ديانتهم الحقيقية وآلهتهم وعباداتهم فإننا لا نعرف عنها شيئًا قط، وذلك أمر طبيعي؛ لأن الكتابة لم تكن معروفة بعد.

ومن المدهش أن روح الفن في هذا العصر كاد يكون منعدمًا، وربما كان السر في ذلك أن إنسان هذا العصر كان موجهًا كل همه إلى تحقيق الأشياء العملية، فكانوا يصنعون الفخار ليستفيدوا منه لا للزينة، وكذلك كانت حليهم كالقلائد والأساور التي تصنع من العظام أو الطين المحروق نادرة وساذجة، ولا يظهر فيها أي ذوق فني، ولكن رغم انعدام الروح الفني في هؤلاء القوم بالمعنى الحقيقي فإنا نجد الرشاقة الفنية في بعض الأواني وبعض سنان الحراب، مما كان يبشر باستعدادهم للذوق الفني الذي نما فيهم فيما بعد، ومنذ ذلك العصر نشاهد بعض علامات منها نستخلص أن مدنية وادي النيل، كانت تنقسم قسمين متميزين عن بعضهما، وينحصر القسم الأول في الفيوم والدلتا والثاني في الوجه القبلي، وتمتاز مجموعة المدنية الشمالية بأنها أقدم من مدنية الوجه القبلي وأكثر تقدمًا، وهي التي ظهرت فيها سنان الحراب الفاخرة المهذبة على شكل «ورق الغار» الذي ورد ذكره — فيما سبق — وتعد هذه السنان والبلط المصقولة التي توجد في كل مكان الآلات التي يمتاز بها هذا العصر، وقد وجدت أدلة كثيرة في بحوث أخرى تثبت هذه الحقيقة.

عصر بداية المعادن

يمتاز عصر بداية استعمال المعادن بظهور صناعة جديدة، غطت على صناعة الظِّرَّان، وأعنى بذلك صناعة المعادن؛ إذ وجدت في هذا العصر آلات وحلي من النحاس والذهب في بادئ الأمر، ثم عرف فيما بعد استعمال الشبه «البرنز»، وباستعمال المعادن أخذ الإنسان الأنيوليتي يستغني تدريجًا عن صنع آلاته من الظِّرَّان والأحجار الصلبة الأخرى التي كان يستعملها في العصور السابقة. على أن صناعة الظِّرَّان لم تدرس جملة، بل بقيت بعض الشيء حتى في العصور المصرية التاريخية؛ وذلك لأن المصري كان بطبعه عبدًا للتقاليد والعادات، فكان يستعمل الظِّرَّان في أوج مدنيته سنانًا للسهام وغير ذلك. هذا العصر قد أطلق على العهد الذي سبق بداية التاريخ أي عهد ظهور الكتابة في مصر.

والواقع أننا إلى الآن في كل بحثنا عن مدنية ما قبل التاريخ في العصور القديمة، لم نجد مميزات بارزة يمتاز بها وادي النيل عن باقي ممالك العالم، اللهم إلا بعض خصائص قليلة، ولكن من جهة أخرى لاحظنا على وجه عام أن مدنية الوادي تتفق في مجموعها مع المدنيات الأوروبية في تلك العهود السحيقة في القدم، وكذلك تتمشى بوجه خاص مع عصور ما قبل التاريخ العام في أفريقيا الشمالية.

ومع أن عصر بداية المعادن في أوروبا يتفق مع عصر ظهور المعادن في وادي النيل، إلا أننا نشاهد من جهة أخرى أنه قد ظهرت فيه مميزات خاصة معلمة، أخذت تزداد وضوحًا، حتى إنها صبغت

ثقافة هذا العصر بصيغة أصلية، وأعطته لونًا خاصًّا ميزه عن الممالك المجاورة، ويمكن تشبيه هذه المدنية الخاصة بانبثاق غصن ناشئ أينع في أصل شجرة في شيخوختها، فأزهر وأثمر ثمارًا مختلفة أنواعها، وهذه الحياة الجديدة التي انبعثت في البلاد دب دبيبها في كل نواحي الفن والصناعات، كصناعة الفخار، وفي حفر العاج والخشب، وتهذيب الظِّرَّان، وصنعه آلات بلغت الدرجة القصوى في الإتقان.

ويرجع الفضل في إبراز هذه الثقافة المصرية من مكمنها في بدايتها إلى جهود العلماء الذين وقفوا حياتهم عدة أجيال على القيام بالحفائر، التي أنتجت العناصر التي منها تتألف تلك الثقافة، لذلك كان لزامًا علينا قبل أن نبدأ في درس هذه المدنية الأنيوليتية أن نمر سريعًا بكلمة موجزة على أعمال هؤلاء الباحثين في الحفر والتنقيب.

وأول من فتح الطريق في هذا المضمار هو الأستاذ «فلندرز بتري»، وذلك في عام ١٨٨٩ عندما قام بحفائر في اللاهون «كاهون»[١٠] وغيرها عند مدخل الفيوم، ثم تابع أعماله في ميدوم، فطوخ، فالبلاص. وكذلك قام العالم «دي مرجان»، «وأملينو» الفرنسي، ثم «ماك إيفر»، «وجارستانج»، بحفائر في نقادة، و«العرابة»، والكاب، وغيرها من المواقع الأثرية.

أما في بلاد النوبة فقد قام الأستاذ «ريزنر» بحفائر في المواقع التي كان يهددها تعلية خزان أسوان، وقد وصف لنا البحاثة «ستون كار» مصنعًا عظيمًا عثر فيه على سكاكين ذات وجهين فخمة الصنع وذات أحجام خارقة للحد المألوف، ويقع هذا المصنع في «وادي الشيخ» بالقرب من بلدة مغاغة بجوار الآبار القديمة التي كانت تحفر لاستخراج الظِّرَّان.

وفي عام ١٩٢٤-١٩٢٥ بدأ المستر «برنطون» بعمل حفائر في جبانات بالقرب من بلدة البداري الحالية، وقد أماطت بحوثه اللثام عن صفحة جديدة في تاريخ ما قبل الأسرات في مصر. أما في الدلتا فقد قام «برشيا» العالم الأثري الإيطالي بحفائر في كوم القناطر، وهي أول محطة كشفت من هذا العصر، وقفَا أثره الأستاذ «ينكر» ببحوث في تل اليهودية بالدلتا أيضًا، وحديثًا كشف كل من الأستاذ مصطفى عامر والأستاذ «منجين» عن محطة هامة في العصر الأنيوليتي في المعادي بين القاهرة وحلوان.

أما الصحراء فإن الأبحاث لم تقم فيها على قدم وساق، كما كانت في الوادي نفسه، ومع ذلك فإن البعثات القليلة التي بحثت فيها قد أسفرت عن بعض نتائج، فالبعثة التي قام بها الأمير كمال الدين في الصحراء حتى «جبل عوينات» عثر فيها على محطات مما قبل الأسرات، وجدت فيها أسلحة وسكاكين عظيمة الحجم من الحجر النوبي، وبالقرب منها عثر على أرحاء وأجران مصنوعة من حجارة ضخمة، وذلك برهان جديد على أنه كان يوجد في هذه الجهات واحات، ولكنها طبعًا قد اختفت بجفاف العيون التي كانت تغذيها، ولا مراء في أنها كانت يانعة في هذا العصر، ومن المحتمل جدًّا أنها كانت لا تزال آهلة بالسكان في العهد الفرعوني.

وقد عثر حديثًا العالم «بوفييه لايبير» على جبانة من نوع خاص في صحراء العرب على مسافة قريبة من القاهرة تشبه في أوروبا ما يطلق عليه اسم دلمن Dolmens، وكل واحد من قبورها يتألف من حجر عظيم مستوي السطح موضوع على حجرين عموديين، وهو أول شيء من هذا النوع عثر عليه في مصر، وهذه المقابر قد أقيمت على حافة وادي التيه، ولما كان وجه الشبه بين هذه المقابر ومثيلاتها في أوروبا عظيمًا فقد نسبها الأب «بوفييه» إلى العصر الأنيوليتي، غير أنه يظن كذلك أنها قد تكون صنعت في عصر متأخر عن ذلك.

ولما كانت الكتابة منعدمة في العصر الأنيوليتي حتى ظهور الأسرة الأولى، كان من الصعب على المؤرخ أن يضع تواريخ مؤكدة للمدنيات المتتالية التي مرت فيها مصر في أقدم عهودها، لذلك يجب أن نكتفي الآن بأقل الفروض. إذ الواقع أن بداية هذه المدنية ترجع بنا إلى عهود يكاد مقدار ألف سنة فيها، لا يعد بالشيء الخارق للعادة من حيث الزمن، ومما يؤسف له أن نهاية هذا العصر الذي هو في

الواقع بداية العصر التاريخي لم يتفق عليه بصفة قاطعة للآن بين علماء الآثار، بل الأمر تخطى ذلك في النزاع، حتى إن كل تأريخ قبل عام ١٥٨٠ق.م في التواريخ المصرية موضع شك، ولا أدل على ذلك من أن السير «فلندرز بتري» قدَّر عُمْر المدنية البدارية بنحو ١٠٠٠٠ إلى ١٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، على حين أن أثريين آخرين قدروا عمرها بنحو ٥٠٠٠ سنة. على أن مثل هذه التواريخ لا تخرج عن أنها محض تخمين، ولا ترتكز على أساس علمي ومع أنه كان من المتعذر وضع تاريخ مؤكد لبداية عصر ما قبل الأسرات أو نهايته، فإنه من الممكن أن يقتفي الإنسان تتابع الخطوات المختلفة التي حدثت في خلال هذا العصر، وهذا الإمكان قد نشأ نتيجة للبحوث التي قام بها المستر «فلندرز بتري» في «ديو سبوليس برفا»[١١] لتتابع تاريخي خاص في أنواع الفخار كشفت عنه حفائره، وذلك أنه لاحظ أن نوعًا خاصًّا من أواني الفخار كان يحدث فيه انحطاط منظم، وذلك أن البروز الذي كان في الأصل بمثابة يد الإناء، أخذ في التلاشي تدريجًا حتى أصبح لا يزيد عن خط متموج لا معنى له حول رقبة الإناء، وهذا الانحطاط في يد الإناء صحبه تدهور مشابه له في شكل الإناء العام، ولذلك كان من الممكن أن يضع الإنسان تتابع تاريخيًّا لكل الأواني التي من هذا النوع، وبالوصول لهذا الترتيب كان من السهل أن يجد الإنسان أدوات أخرى من نوع هذه الأواني قد تدرجت في التغير.

وقد اتخذ أساسًا للتغير في هذا النوع من الفخار فترات معينة تبتدئ برقم واحد وتنتهي برقم مائة، وقد ترك الفترة من رقم ١–٢٩ خالية لما عساه أن يكشف من فخار أقدم من الأنواع التي عثر عليها في قبور قديمة. أما الفترة بين ٣٠–١٠٠ فإنها تمثل ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات، وقد صار من الممكن إذن أن يضع الإنسان في الفترات المتتابعة مجموعة هذا النوع من الفخار حسب طبقته المختلفة في القدم، فإذا كشف قبر مما قبل الأسرات، ولم يكن من الممكن وضع تأريخ محدد له، فإن مكانته في التأريخ التتابعي يمكن الوصول إليها في الحال، وذلك بمقارنة الفخار الذي عثر عليه فيه بالطبقة المقابلة للفخار الذي اتخذ نوعه أساسًا.

المصادر

موسوعة مصر القديمة / دكتور سليم حسن